مشكلة الإمامة بين السنة والشيعة

عرض وتحليل ونقد

إعداد الدكتور

إبراهيم علي أحمد محمد

الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية

كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مشكلة الإمامة بين السنة والشيعة عرض وتحليل ونقد

إبراهيم علي أحمد محمد

تخصص الثقافة الإسلامية في كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة -جامعة الأزهر

البريد الإلكتروني:ibrahemali.2013@azhar.edu.eg

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

الملخص

ويعرض الموضوع بداية للنبت الذي بذره ابن سبأ واغتر به بعض الناس فانتقل بالناس بموضوع الإمامة من الفروع إلى كونها من الأصول والمنصوص عليها بالتعيين والتي لا ينبغي للوحي أن يغفلها وكانت النتيجة فادحة إذ شطرت هذه القضية الأمة الإسلامية نصفين ـ سنة وشيعة ـ ولكل أدلته ويظهر في هذا البحث أهمية الإسناد فلولاه لقال من شاء ما شاء وتاه الناس وسط زحام النصوص هنا وهناك ولكن الذي ثبت الحقيقة على قدمين هو موضوع الإسناد فأظهر قوة الدليل عند أهل السنة فجزى الله عنا علماء أهل السنة خير الجزاء بما قدموه لنا من خدمة لسنة رسول الله ﷺ، ثم تناول البحث بعد ذلك الإمامة في القرآن والسنة وأهميتها السياسية ثم رؤية أهل السنة للإمامة من خلال ممارسة النبي ﷺ والخلفاء الراشدين لها ثم رؤية الشيعة للإمامة وأدلتهم عليها والرد عليهم ثم مبحث عن فكرة التقريب بين السنة والشيعة وختمت البحث بمبحث ختامي عن فكرة الإمام الاعتباري باعتبار أن الإسلام لم يأتي بشكل معين للإمامة وإن نص على وجوبها من خلال فهم النصوص التي تدل على ذلك .

الكلمات المفتاحية: الإمامة –عقيدة – ابن سبأ – السنة – الشيعة – التقريب.

The Issue of Imamate in between the People of Sunnah and Shia An Exposition, Analysis and Criticism

By: Ibrahim Ali Ahmed Mohammed
Associate Professor of Islamic Culture
Department of Islamic Culture
Faculty of Islamic Dawah in Cairo
Azhar University
E.MAIL: **ibrahemali.2013@azhar.edu.eg**

Abstract

This research traces the first seeds sown by Ibn Saba who had deceived some people by turning their attention towards Imamate from being a peripheral matter into being a basic one provided through appointment and which should not be disregarded by the divine revelation. The consequence of such issue was so dire to the extent that the Muslim nation underwent schism: Sunnah and Shia. Each division had its reasons, so that this research focuses light on the importance of transmission whose absence would allow anyone to say whatever comes to his mind then people would get lost amid the jam of texts here or there. However, transmission has provided a solid ground for the truth through taking cognizance of evidence introduced by the people of Sunnah. May Allah reward the people of Sunnah well in turn for what they had done for the Sunnah of Prophet Muhammad peace be upon him. After that the research has studied the issue of Imamate in the Holy Qur'an and Sunnah and drew attention to its political importance then the viewpoints of the Sunnah concerning the Imamate with regard to the deeds of Prophet Muhammad peace be upon him and those of the rightly guided Caliphs. Next, the research exposes the viewpoints of the Shia regarding the Imamate and their clues together with the due responses. Then, there is a chapter dedicated to cover the compromising ideas between the Sunnah and Shia. Finally, the research concludes with the idea of a nominal Imam since Islam has not provided an identifiable form of the Imamate although it has referred to its obligation within referential texts.

Key words: Imamate, creed, Sunnah, Shia, compromise.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين، وعلي آله وصحبه الغر الميامين بإحسان إلي يوم الدين وبعد .

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

إن موضوع الإمامة من أخطر المواضيع التي شطرت الأمة نصفين بسبب ما نسب ابن سبأ إلي عليٍّ رضي الله عنه، فاختار الشخصية التي يمكن أن يقتنع بها الدهماء ليضرب الإسلام في مقتل كما فعل بولس مع النصارى.

ونجح في ذلك إلي حد كبير فاقتنع به بعض الناس ممن لا يفكرون - وفرق بين العقل والذكاء - ثم خلف من بعدهم خلف أخذوا بَذْره وأنبتوه، فصارت الإمامة أصلا من أصول الدين، وركنًا من أركانه؛ وزعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على عليٍّ، وعلي نص علي من بعده وهكذا، فامتدت الإمامة في أبنائه من بعده، ثم امتدت إلي جزيرة العرب والعراق ولبنان والبحرين وغيرها، فصارت الإمامة التي وَكَلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرها إلي أصحابه من بعده؛ أهم ركن في الدين، يتدثرون ظاهراً بادعاء حب محمد صلى الله عليه وسلم وهم يهدمون دينه؛ وفي ضوء هذا الأصل المبتدع كفر بعضهم الصحابة، ومن أجلها قال بعضهم بتحريف القرآن، واستدعت تلك البدعة بدعا أخرى، من التقية والبداء والرجعة، وذلك لحل الإشكال بين تعارض النصوص الشرعية المتفق عليها بين عموم المسلمين، وبين ما ابتدعوه من عند أنفسهم... والتقية كذب، والرجعة أسطورة، والبداء كفر، والعصمة عبودية الإنسان للإنسان والمتعة زنا، ويزعمون حب عليّ، ويعرضون عن سيرته، وكاد الإسلام أن يتلاشى في مستنقع بدعهم التي جلبوها من أديانهم السابقة، كما تلاشى إسلام عيسى عليه السلام في بدع بولس، لولا حفظ الله تعالي لدينه، وهم بذلك علي خطر عظيم لاسيما علماؤهم الذين يكتمون الحق من بعد بيانه وبرهانه، وسوف أتحدث عن الإمامة العظمى أو العامة تمييزا

لها عن الإمامة الصغرى في الصلاة وغيرها، وتسمى أيضا بالخلافة والإمارة كما ذكر ابن خلدون في مقدمته، والنووي في المجموع وكما دلت عليه السنة النبوية أيضـًا، وهما مترادفان من حيث الدلالة، ومن نافلة القول أن الشيعة يتفقون علي هذه المقولة ـ حاشا الزيدية ـ الذين يقولون أنه لابد من النص عليها لكنهم يجوزن إمامة المفضول مع وجود الأفضل ـ ويتفقون علي أول الأئمة وهو علي رضي الله عنه لكنهم يختلفون في الأئمة من بعده وفي مهديهم أو الإمام الأخير الذي سيرجع في آخر الزمان، وأهل السنة أيضا يقولون بالمهدي لكنه يختلف عن مهدي الشيعة كما سيتضح، ومن الفرق الحية الفاعلة الآن والتي أخرجت عملية الإمامة من طور الجمود إلي طور التنفيذ في الحياة السياسية هي فرقة الإمامية الاثني عشرية المنتشرة في إيران وبعض دول الخليج، والذين ملئوا فراغها بولاية الفقيه الذي ابتدعه الخميني ليأسهم من مجيء هذا العائد الذي لن يعود، وسوف يدور البحث حول تحرير النزاع في مسألة الإمامة هل هي من أصول الدين مثل الحج والصوم والصلاة، ولابد من النص عليها، وينبغي للإمام أن يكون معصوما بحجة خطورة المنصب الذي يتولاه من خلافة رسول الله في حراسة الدين، وسياسة الدنيا، أم أن الإمامة من الأمور الحياتية التي تتفق عليها الأمة بدليل ترك النبي التعيين لها، ولم يحدد لها أحداً، وتركها لتوافق الصحابة؟

وسوف أتحدث عن خطين رئيسين هما: رؤية أهل السنة للإمامة من خلال القرآن والسنة، ومن خلال ممارسة النبي والخلفاء لها، والثاني رؤية الشيعة للإمامة من خلال كتبهم وأدلتهم والرد عليها.

هذا وقد قسمت البحث إلى أربعة مباحث.

مبحث تمهيدي: مصطلح الإمامة في القرآن والسنة وأهميتها.

المبحث الثاني: رؤية أهل السنة للإمامة من خلال ممارسة النبي والخلفاء لها.

المبحث الثالث: رؤية الشيعة للإمامة وأدلتهم والرد عليها.

مبحث ختامي: فكرة الإمام الاعتباري

تحديد مصطلحات البحث:

وقبل أن أشرع في البحث لا بد من تحديد مصطلحات البحث وبيان معناها وهي كلمات: مشكلة، والإمامة، والسنة، والشيعة.

أولاً: تعريف المشكلة:

والمشكلة من الإشكال وهو الالتباس (وأُمورٌ مُشْتَبِهَةٌ ومُشَبَّهَةٌ، كمُعَظَّمَةٍ): أَي (مُشْكِلَةٌ) مُلْتبسةٌ يُشْبِهُ بعضُها بَعْضًا" [(١)].

ومن ثم فموضوع الإمامة حالة ملتبسة بين السنة والشيعة وهي بحاجة إلى معالجة لإزالة الإشكال، وسوف أحاول قدر الطاقة إزالة اللبس في المسألة.

ثانياً: تعريف الإمامة:

التعريف اللغوي:

الإمام مصدر من الفعل "أم" وهو الذي يتقدم القوم فيقصده الناس ليأتموا به فمدلول لفظة الإمامة عند أهل اللغة تدور حول: القصد والتقدم والاقتداء تقول: "وأَمَّهُ أَمًّا مِنْ بَابِ قَتَلَ قَصْدَهُ وَأَمَّمَهُ وَتَأَمَّمَهُ أَيْضًا قَصْدَهُ وَأَمَّهُ وَأَمَّ بِهِ إمَامَةً صَلي بِهِ إمَامًا" [(٢)] "وأَمَّ القومَ وأَمَّ بِهِمْ: تقدَّمهم، وَهِيَ الإِمامةُ. والإِمامُ: كُلُّ مَنِ ائتَمَّ بِهِ قومٌ كَانُوا عَلي الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ أَو كَانُوا ضالِّين" [(٣)] "(و) الإمامُ "أصله":(الطَّرِيقُ) الواسِعُ، وَبِه فُسِّر قولُه تَعَالي: "وإنهما لبإمام مُبين" أَي: بطَرِيقٍ يُؤَمُّ أَي: يُقْصَدُ" [(٤)] "وأصل الإمام أيضا: الخَيْطُ

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، ط: دار الهداية، ج٢٦ ص٤١١ .

(٢) المصباح المنير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي، ط:المكتبة العلمية، بيروت، ج١ ص٢٣ .

(٣) لسان العرب، لابن منظور، ط:دار صادر، بيروت، ج١٢ ص٢٤، مادة: أم .

(٤) تاج العروس، لمحمد مرتضى الزبيدي، ط:دار الهداية، ج٢١ ص٢٤٤ .

الَّذِي يُمَدُّ عَلي الْبِنَاءِ فيُبْنَى عَلَيْهِ ويُسَوَّى عَلَيْهِ سافُ الْبِنَاءِ" (١) فاستعيرت هذه المعاني المادية لمعاني معنوية هي القصد والتقدم والاقتداء كما سبق ومنه قوله تعالي: ﴿ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗ ﴾ (٢). أي يقصدونه" ويرجعون إليه في أمور الدين والأحكام والشرائع" (٣) .

التعريف الاصطلاحي:

الإمامة بمعنى الرياسة تعنى من يتقدم الناس ويسوسهم، ويعمل علي حراسة الدين وسياسة الدنيا. وقد عرفها العلماء بعدة تعريفات منها: " الْإِمَامَةُ رِيَاسَةٌ تَامَّةٌ، وَزَعَامَةٌ عَامَّةٌ، تَتَعَلَّقُ بِالْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، فِي مُهِمَّاتِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا. مُهِمَّتُهَا حِفْظُ الْحَوْزَةِ، وَرِعَايَةُ الرَّعِيَّةِ، وَإِقَامَةُ الدَّعْوَةِ بِالْحُجَّةِ وَالسَّيْفِ، وَكَفُّ الْخَيْفِ (٤) وَالْحَيْفِ، وَالِانْتِصَافُ لِلْمَظْلُومِينَ مِنَ الظَّالِمِينَ، وَاسْتِيفَاءُ الْحُقُوقِ مِنَ الْمُمْتَنِعِينَ، وَإِيفَاؤُهَا عَلي الْمُسْتَحِقِّينَ "(٥) .

---

(١) لسان العرب، ج١٢ ص٢٥، مرجع سابق .

(٢) سورة الأحقاف، الآية (١٢) .

(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولي، ١٤١٥ هـ ج٢ ص٤٧٨ .

(٤) (الْخَيْفُ) مَا انْحَدَرَ عَنْ غِلَظِ الْجَبَلِ وَارْتَفَعَ عَنْ مَسِيلِ الْمَاءِ، وَمِنْهُ سُمِّيَ مَسْجِدُ الْخَيْفِ بِمِنًى وَقَدْ (أَخَافَ) الْقَوْمُ إِذَا أَتَوْا خَيْفَ مِنًى فَنَزَلُوهُ. وَفَرَسٌ (أَخْيَفُ) بَيِّنُ (الْخَيَفِ) إِذَا كَانَتْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ زَرْقَاءَ وَالْأُخْرَى سَوْدَاءَ وَكَذَلِكَ هُوَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَمِنْهُ قِيلَ: النَّاسُ (أَخْيَافٌ) أَيْ مُخْتَلِفُونَ. وَإِخْوَةٌ أَخْيَافٌ إِذَا كَانَتْ أُمُّهُمْ وَاحِدَةً وَالْآبَاءُ شَتَّى. مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، (المتوفى: ٦٦٦هـ)، ج١ ص٩٩ .

(٥) البحر الرائق شرح كنز الدقائق: زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (المتوفى: ٩٧٠هـ)، ط: دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية، بدون تاريخ، ج٦ ص٢٩٩ .

"والْإِمَامَةُ أيضا: مَوْضُوعَةٌ لِخِلَافَةِ النُّبُوَّةِ فِي حِرَاسَةِ الدِّينِ وَسِيَاسَةِ الدُّنْيَا" (١) .

ويقول ابن خلدون:" والخلافة هي حمل الكافّة علي مقتضى النّظر الشّرعي في مصالحهم الأخرويّة والدّنيويّة الرّاجعة إليها.. فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشّرع في حراسة الدّين وسياسة الدّنيا به" (٢) .

تعريف الإمامة عند الشيعة : تعرف الإمامة عند الشيعة بأنها "رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا خلافة عن النبي" وهذا التعريف مؤيد لمذهب الإمامية في اشتراط النص والعصمة والأفضلية في الإمامة (٣) .

ثالثاً : تعريف السنة :

والسنة في الأصل الطَّرِيقَةُ والسِّيرَة، وإِذا أُطْلِقَت فِي الشَّرْعِ فإنما يُرَادُ بِهَا مَا أَمَرَ بِهِ النبيُّ ﷺ، ونَهى عَنْهُ ونَدَب إِليه قَوْلًا وَفِعْلًا مِمَّا لَمْ يَنْطق بِهِ الكتابُ الْعَزِيزُ، وَكُلُّ مَنِ ابتدأَ أَمراً عَمِلَ بِهِ قَوْمٌ بَعْدَهُ قِيلَ: هُوَ الَّذِي سَنَّه.

قَالَ نُصَيْبٌ: كأَني سَنَنْتُ الحُبَّ، أَوَّلَ عاشِقٍ ... مِنَ الناسِ، إِذ أَحْبَبْتُ مِنْ بَيْنِهم وَحْدِي قال ابْنُ سِيدَهْ: سَنَّ الإِبلَ يَسُنُّها سَنّاً إِذا رَعَاهَا فأَسْمنها. والسُّنّة: الْوَجْهُ لصَقالتِه ومَلاسته، وَقِيلَ: هُوَ حُرُّ الْوَجْهِ، وَقِيلَ: دَائِرَتُهُ. وَقِيلَ: الصُّورة، وَقِيلَ: الْجَبْهَةُ وَالْجَبِينَانِ، وَكُلُّهُ مِنَ الصَّقالة والأَسالة" (٤).

---

(١) الأحكام السلطانية، لعلي بن محمد الماوردي، ط:دار الحديث، ج١ ص١٥ .

(٢) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى:٨٠٨هـ)، المحقق: خليل شحادة، ط:دار الفك، بيروت ج١ ص٢٣٩ .

(٣) الإمامة: عبد النبي سعد الدين، ط:مكتبة الروضة الحيدرية، ص٢٦ .

(٤) انظر لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)،ط: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ، ج١٢ ص٣٢٥ .

قال ابن السكيت: "سَنَّ الرجل إبلَه، إذا أحسن رِعْيَتَها والقيامَ عليها، حتّى كأنه صقلها [١]".

وهذا معنى رائع رفيع فسن النبي ﷺ أصحابه أي: هذبهم وأحسن تربيتهم بالقرآن والسنة، وهذا ما شهد به الواقع كيف كانوا ثم كانوا.

و"أهل السنة" من عملوا بمقتضى سنة النبي ﷺ، وساروا علي طريقته وتهذبوا بتعاليمه.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

رابعاً: تعريف الشيعة:

الشيعة من حيث مدلولها اللغوي تعنى: الْقَوْمُ الَّذِينَ يَجْتَمِعون عَلي الأَمر. وكلُّ قَوْمٍ اجتَمَعوا عَلي أَمْر، فَهُمْ شِيعةٌ. وكلُّ قَوْمٍ أَمرُهم وَاحِدٌ يَتْبَعُ بعضُهم رأْي بَعْضٍ، فَهُمْ شِيَعٌ... والشِّيعةُ: أَتباع الرَّجُلِ وأَنْصارُه" "والشيعة: قوم يَهْوَوْن هوى عِتْرة النَّبِي مُحَمَّد ﷺ ويوالونهم" [٢].

والشيعة بهذا المعنى اللغوي نتفق معه فنحن نهوى هوى عِتْرة النَّبِي ﷺ لكنها اتخذت معنى اصطلاحيًا مستقلاً آخر حيث أطلقت علي جماعة اعتقدوا أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي ترجع إلي نظر الأمة ويتعين القائم بها بتعيينهم، بل إنها ركن الدين وقاعدة الإسلام، ولا يجوز لنبي إغفالها ولا تفويضها إلي الأمة، بل يجب عليه أن يعين الإمام للأمة" [٣].

يقول الشهرستاني: "الشيعة هم الذين شايعوا عليًا رضي الله عنه علي الخصوص، وقالوا: بإمامته

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٧هـ، ج٥ ص٢١٢٩ .

(٢) لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، ط: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤ هـ، ج٨ ص ٢٠٢، وتهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت ج٢ ص٤٠ .

(٣) انظر: مقدمة ابن خلدون، ص ١٩٦ – ١٩٧ .

وخلافته نصـًا ووصية إما جليـًا، وإما خفيـًا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده" (١) .

وانشغلوا بهذه القضية حتى صارت محور الدين فمعظم الكتب، والحوزات تتحدث عن هذا، والإمامة عندهم نصا وجَعَلُوا الْإِمَامَ مَعْصُومًا .

وخالص القول أن الإيمان بالنص علي إمامة علي يعتبر عندهم لباب التشيع، لهذا نجد بعض علمائهم المعاصرين يعرف الشيعة علي هذا النحو، فيقول إن لفظ الشيعة: (عَلَم عَلي من يؤمن بأن عليًّا هو الخليفة بنص النبي) (٢) .

ثم رتبوا عليها أمورا عقدية فقالوا بأنها ركن الدين وأضافوا للإمام صفة العصمة، والرجعة ثم القول بالبداء، وأن الصحابة تمالئوا علي آل البيت وغصبوا حقهم، ومن ثم طعنوا فيهم، ولمزوا القرآن والسنة واستعانوا علي ذلك بالتقية وتخالفهم الزيدية في بعض الأمور حيث يقولون بالنص علي الإمام تلميحا لكن يجوزون إمامة المفضول.

والرد علي الشيعة من أصعب الأمور لأخذهم بالتقية، ولقولهم أن للقرآن ظاهر وباطن ـ واستدلوا علي تلك الأمور بقضايا فلسفية، مع لي النصوص القرآنية، واستدلوا بآلاف النصوص والمعجزات التي حدثت للأئمة وعندهم الليل وما يناقضه، فما هو لون الحرباء؟

قال أبو عبد الله عليه السلام: يا هيثم التميمي إن قوما آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن، فلم ينفعهم شي، وجاء قوم من بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر، فلم ينفعهم ذلك شيئا، ولا إيمان بظاهر إلا بباطن، ولا بباطن إلا بظاهر" (٣) .

---

(١) الملل والنحل، للشهرستاني، ١/ ١٤٦.

(٢) الشيعة في الميزان : محمد جواد مغنية، ج١ ص٣ .

(٣) بحار الأنوار: الشيخ محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ج٩ ص٢٦ .

ومثال ذلك ما روى "عن عبد الله بن سنان عن ذريح قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن الله أمرني في كتابه بأمر فأحب أن أعلمه قال: وما ذاك؟ قلت: قول الله عز وجل: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ﴾(١) قال: (ليقضوا تفثهم): لقاء الإمام (وليوفوا نذورهم): تلك المناسك، قال عبد الله بن سنان: فأتيت أبا عبد الله عليه السلام فقلت: جعلت فداك قول الله عز وجل: (ثم ليقضوا تفثهم و ليوفوا نذورهم) قال عليه السلام: أخذ الشارب وقص الأظفار وما أشبه ذلك، قال: قلت: جعلت فداك إن ذريحا المحاربي حدثني عنك بأنك قلت له: (ليقضوا تفثهم) لقاء الإمام (وليوفوا نذورهم) تلك المناسك، قال: صدق ذريح وصدقت" (٢) .

وقد اضطر أهل السنة أن يدخلوا مبحث الإمامة في العقيدة للرد علي أهل البدع، وهي من الفروع التي يشير إليها أهل السنة في الفقه .

(١) سورة الحج، الآية (٢٩) .

(٢) بحار الأنوار: الشيخ محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ج٢٤ ص٣٦٠ .

المبحث الأول

الإمامة في القرآن والسنة وأهميتها

المطلب الأول

الإمامة في القرآن والسنة

يتحدث القرآن فيورد لفظ إمام في القرآن الكريم بصيغة الإفراد والجمع: الإفراد مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) ﴾[2] .

وورد اللفظ بصيغة الجمع كما في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (٧٣) ﴾[3] .

وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤) ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) ﴾[5]

وكما أن هناك أئمة للهدى هناك أئمة للضلال قال تعالى: ﴿ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (١٢) ﴾[6] "وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٢٤) .

(٢) سورة الفرقان، الآية (٧٤) .

(٣) سورة الأنبياء، الآية (٧٣) .

(٤) سورة السجدة، الآية (٢٤) .

(٥) سورة القصص، الآية (٥) .

(٦) سورة التوبة، الآية (١٢) .

وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ (١) .

وفي السنة :

ورد لفظ إمام أيضـًا مفردا وجمعا" فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، أَنَّهُ: سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ﴿ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ﴾(٢).

والجمع ما رواه أَبو بَرْزَةَ عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿ الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ ﴾ (٣)، وورد في السنة أيضا لفظ الإمام بمفردات مختلفة في اللفظ مترادفة في المعنى مثل الخليفة والأمير.

المطلب الثاني

أهميــة الإمامــة

وتكرار لفظ الإمام في القرآن والسنة وما في معناه دليل علي أهمية وجود الإمام، فالناس ليسوا نسخا مكررة، وإنما لكل واحد عقله وفكره، والاختلاف بينهم وارد، فكان لابد ممن يفصل بينهم، ولا يترك الأمر للهوى، وقضية النزوع إلي إتباع قائد معين أمر فطري يوجد في الإنسان كما يوجد في الحيوان والطيور والحشرات، فهناك ممالك النحل والنمل والأسود وهناك تجمعات الطيور، والحيوانات نحو حادي يقودها، وهذا ما جعل العلماء يقولون بوجوب الإمامة، وفرضيتها علي الكفاية فـ" لا ينكر وجوب نصب الإمام لما فيه من الفوائد ودفع المضار في الدنيا.. ونقول: البرهان عليه أن نظام الدين لا يحصل إلا بنظام الدنيا، ونظام الدنيا لا يحصل إلا بإمام مطاع .. ولهذا قيل: الدين والسلطان توأمان، و قيل: الدين أس (٤) والسلطان حارس وما لا أس له فمهدوم وما لا حارس له فضائع.. وعلي

(١) سورة القصص، الآية (٤١) .

(٢) رواه البخاري، باب: العبد راع في مال سيده، ط:دار طوق النجاة، ج٣ ص١٢٠ .

(٣) رواه أحمد في مسنده، باب: حديث أبى برزة الأسلمي، ط:مؤسسة الرسالة، ج٣٣ ص٢١ .

(٤) الأُسُّ: أصل تأسيس البناء، والجمع: الأساس:العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، ج٧ ص٣٣٤ .

الجملة لا يتمارى العاقل في أن الخلق علي اختلاف طبقاتهم وما هم عليه من تشتت الأهواء وتباين الآراء لو خلوا وراءهم دون رأي مطاع يجمع شتاتهم لهلكوا من عند آخرهم،.. فكان وجوب نصب الإمام من ضروريات الشرع الذي لا سبيل إلي تركه" (١)

واستدل العلماء علي وجوب نصب الإمام من مفهوم النصوص، ولكن لا يوجد نص مباشر يقول نصبوا لأنفسكم إماما فاستدلوا علي نصبه من مفهوم طاعة ولي الأمر قال تعالي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ (٢) .

ومن مثل ما رواه البخاري عن أَبِي هُرَيْرَة قال: قال رسول الله ﷺ: « إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ » (٣)، فالمجموع الكبير من باب أولي.

وتتفق الزيدية في ذلك مع أهل السنة في وجوبها شرعا يقول الشوكانى بعد أن ساق الأدلة علي نحو ما تقدم "وَفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ لِقَوْلِ مَنْ قَالَ: إنَّهُ يَجِبُ علي الْمُسْلِمِينَ نَصْبُ الْأَئِمَّةِ وَالْوُلَاةِ وَالْحُكَّامِ. وَقَدْ ذَهَبَ الْأَكْثَرُ إلي أَنَّ الْإِمَامَةَ وَاجِبَةٌ، لَكِنَّهُمْ اخْتَلَفُوا هَلْ الْوُجُوبُ عَقْلًا أَوْ شَرْعًا، فَعِنْدَ الْعِتْرَةِ وَأَكْثَرِ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْأَشْعَرِيَّةِ تَجِبُ شَرْعًا، وَعِنْدَ الْإِمَامِيَّةِ تَجِبُ عَقْلًا فَقَطْ، وَعِنْدَ الْجَاحِظِ وَالْبَلْخِيِّ وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ تَجِبُ عَقْلًا وَشَرْعًا، وَعِنْدَ ضِرَارٍ وَالْأَصَمِّ وَهِشَامٍ الْقُوتِيِّ وَالنَّجَدَاتُ لَا تَجِبُ" (٤).

وهي تعتبر من فروض الكفايات "فَإِقَامَةُ الْإِمَامِ فَرْضُ كِفَايَةٍ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ بِالْإِجْمَاعِ، وَعِنْدَ

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي، ط:دار الكتب العلمية، ج١ ص ١٢٧، ١٢٨، وانظر: الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمى، ج١ ص٢٥ .

(٢) سورة النساء، الآية (٥٩) .

(٣) رواه أبو داوود، ط:دار الرسالة العالمية، ج٤ ص٢٤٩ .

(٤) نيل الأوطار، للشوكانى، ط:دار الحديث، ج٨ ص٢٩٤ .

مَنْ قَالَ بِالْوُجُوبِ عَقْلًا مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ كَأَبِي الْحُسَيْنِ وَالْجَاحِظِ وَالْخَيَّاطِ وَالْكَعْبِيِّ فَبِالضَّرُورَةِ، وَأَمَّا مُخَالَفَةُ الْخَوَارِجِ وَنَحْوِهِمْ فِي الْوُجُوبِ فَلَا اعْتِدَادَ بِهَا، لِأَنَّ مُخَالَفَتَهُمْ كَسَائِرِ الْمُبْتَدِعَةِ لَيْسَ قَادِحٌ فِي الْإِجْمَاعِ وَلَا يُخِلُّ بِمَا يُفِيدُهُ مِنَ الْقَطْعِ بِالْحُكْمِ الْمُجْمَعِ عَلَيْهِ" (١) .

وهذه الأهمية التي جعلت "كَيفَ تسارع الصَّحَابَة بعد وَفَاة رَسُول الله ﷺ إلي نصب الإمام وَعقد الْبيعَة، وَكَيف اعتقدوا ذَلِك فرضا محتوما وَحقا وَاجِبا علي الْفَوْر والبدار، وَكَيف اجتنبوا فِيهِ التواني والاستئخار حَتَّى تركُوا بِسَبَب الِاشْتِغَال بِهِ تجهيز رَسُول الله ﷺ وَعَلمُوا انه لَو تصرم عَلَيْهِم لَحْظَة لا إمام لَهُم فَرُبمَا هجم عَلَيْهِم حَادِثَة ملمة وارتكبوا فِي حَادِثَة عَظِيمَة تتشتت فِيهَا الآراء فكان لا بد من متبوع مُطَاعٌ يجمع شتات الآراء" (٢) .

المطلب الثالث

بدايـــة المشكلـــة

من أخطر الأمور التي ابتدعها الشيعة فكرة الإمامة، والتي صدعت الأمة الإسلامية إلي سنة وشيعة، وانحرفت بالدين إلي مسار آخر "فأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سل سيف في الإسلام علي قاعدة دينية مثل ما سل علي الإمامة في كل زمان" (٣) .

وبداية ذلك فكرة الوصية، وهي أن رسول الله ﷺ أوصى بالخلافة إلي علي رضي الله عنه، وأن من سبقه بها مغتصبون لحقه.

ولم تكن مشكلة الإمامة بالصورة التي يقول بها الشيعة مثارة علي عهد رسول الله ﷺ، ولا الخلفاء الراشدين، وبداية ابتداع هذه المقولة كان ابن سبأ كما ذكر الشهرستانى و"زعموا أنه كان

(١) لوامع الأنوار البهية، محمد بن أحمد السفارينى الحنبلي، ط:مؤسسة الخافقين، دمشق، ج٢ ص٤٢٢ .

(٢) فضائح الباطنية، أبو حامد الغزالي، ط:دار الكتب العلمية، ج١ ص١٧١ .

(٣) الملل والنحل، للشهرستانى، ط:مؤسسة الحلبي، ج ص٢٢ .

يهوديا فأسلم، وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون وصي موسى عليهما السلام مثل ما قال في علي رضي الله عنه. وهو أول من أظهر القول بالنص بإمامة علي رضي الله عنه ومنه انشعبت أصناف الغلاة" (١)

فبدأت مع ظهور الدعي عبدالله بن سبأ اليهودي الذي أضفي علي "علي" رضي الله عنه هذه الصفات وخلع عليه حلة الوصية والرجعة.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

يقول ابن حزم" وَقَالَ عبد الله ابْن سبأ إِذْ بلغه قتل عَليّ رضي الله عنه لَو أتيتمونا بدماغه سبعين مرّة مَا صدقنا مَوته وَلَا يَمُوت حَتَّى يمْلَأ الأَرْض عدلا كَمَا ملئت جوراً" (٢) "لأنهم قد راموا ذَلِك فِينَا وَفِي ديننَا فَبعد عَلَيْهِم بُلُوغ إربهم من ذَلِك وَذَلِكَ بِإِسْلَام عبد الله بن سبأ الْمَعْرُوف بِابْن السوداء الْيَهُودِيّ الْحِمْيَرِي لَعنه الله ليضل من أمكنه من الْمُسلمين فنهج لطائفة رذلة كَانُوا يتشيعون فِي عَليّ رضي الله عنه أَن يَقُولُوا بإلهية عَليّ كَمَا نهج بولس لأتباع الْمَسِيح عليه السلام" (٣) فكان المزاج الفارسي يقبل فكرة الإمام المعصوم خاصة وأنهم اعتادوا تقديس حكامهم." قَالَ أَبُو مُحَمَّد: "وَالْأَصْل فِي أَكثر خُرُوج هَذِه الطوائف عَن ديانَة الْإِسْلَام أَن الْفرس كَانُوا من سَعَة الْملك وعلو الْيَد علي جَمِيع الْأُمَم وجلالة الخطير فِي أنفسهم حَتَّى أَنهم كَانُوا يسمون أنفسهم الْأَحْرَار وَالْأَبْنَاء وَكَانُوا يعدون سَائِر النَّاس عبيد لَهُم فَلَمَّا امتحنوا بِزَوَال الدولة عَنْهُم علي أَيدي الْعَرَب وَكَانَت الْعَرَب أقل الْأُمَم عِنْد الْفرس خطراً تعاظمهم الأمر، وتضاعفت لديهم الْمُصِيبَة وراموا كيد الْإِسْلَام بالمحاربة فِي أَوْقَات شَتَّى فَفِي كل ذَلِك يظْهر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالي الْحق ... فَرَأَوْا أَن كَيده علي الْحِيلَة أنجع، فأظهر قوم مِنْهُم الْإِسْلَام واستمالوا أهل التشيع بِإِظْهَار محبَّة أهل بَيت رَسُول الله صلى الله عليه وسلم واستشناع ظلم عَليّ رضي الله عنه ثمَّ سلكوا بهم مسالك شَتَّى حَتَّى أخرجوهم عَن

(١) الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، ط:مؤسسة الحلبي، ج١ ص١٧٤ .

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الأندلسي، ط :مكتبة الخانجي، القاهرة، ج٤ ص١٣٨ .

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الأندلسي، ط :مكتبة الخانجي، القاهرة، ج١ ص١٦٤ .

الْإِسْلَام" (١) .

وهي نفس الفكرة التي حرف بها بولس اليهودي دين المسيح عليه السلام حيث ادعى أن عيسى ابن الله خاصة، وكان هذا الأقرب إلي المزاج الوثني عند الرومان وهو قابلية أن يكون ابن لله ، فالخلفية الثقافية لهؤلاء الوثنيين تقبل هذا الاعتقاد.

قال الكشّى من علماء الشيعة: "ذكر بعض أنّ عبد اللّه بن سبأ كان يهوديًا فأسلم ووالي عليّا رضي الله عنه، وكان يقول وهو علي يهوديته في يوشع بن نون وصيّ موسى بالغلوّ فقال في إسلامه بعد وفاة رسول اللّه صلي اللّه عليه وآله في علي رضي الله عنه مثل ذلك، وكان أول من شهر بالقول بفرض إمامة علي وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه وأكفرهم، فمن ها هنا قال من خالف الشيعة: أصل التشيّع والرفض مأخوذ من اليهودية"، ثم قال الخوئي تعقيبا علي هذه الرواية: "إنّ أسطورة عبد اللّه بن سبأ وقصص مشاغباته الهائلة موضوعة مختلقة اختلقها سيف بن عمر الوضّاع الكذّاب" (٢) .

وهذا يجعلنا نسأل هل شخصية ابن سبأ حقيقية؟:

ذكر المؤرخون بما لا يقبل الشك وجود شخصية ابن سبأ، وصدق علي ذلك علماء الشيعة.

قال ابن عساكر "عبد الله بن سبأ الذي ينسب إليه السبئية وهم الغلاة من الرافضة أصله من أهل اليمن كان يهوديا، وأظهر الإسلام، وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ويدخل بينهم الشر وقد دخل دمشق لذلك في زمن عثمان بن عفان" (٣) .

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الأندلسي، ط :مكتبة الخانجي، القاهرة، ج٢ ص٩١ .

(٢) معجم رجال الحديث للسيد الخوئى: ترجمة: عبد الله بن سبأ، رقم: ٦٨٨٩، ج١١ ص١٩٢،راجع: مكتبة الإمام الخوئى علي الشبكة الدولية .

(٣) تاريخ دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، ط: دار الفكر، ج٢٩ ص٧.

وقال الذهبي في ميزانه: "عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة ضال مضل" (١). وذَكَرَ الْبُخَارِيُّ فِي التَّارِيخِ" قَالَ عَبد اللهِ بْن مُحَمد، عَنِ ابْن عُيَيْنَةَ، حدَّثنا الزُّهرِيّ؛ كَانَ الحَسَن أوثقهما في أنفسنا، وكَانَ عَبد اللهِ يتبع السَّبئِية" (٢).

وقال ابن بطة أَخْبَرَنَا مَعْمَر عَنْ قَتَادَةَ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ﴾ (٣) قَالَ: "إِنْ لَمْ تَكُنِ الْحَرُورِيَّةُ وَالسَّبَائِيَّةُ فَلَا أَدْرِي مَنْ هُمْ" (٤).

وروى البخاري "عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: أُتِيَ عَلِيٌّ رضي الله عنه، بِزَنَادِقَةٍ فَأَحْرَقَهُمْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحْرِقْهُمْ، لِنَهْيِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «لاَ تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللهِ» وَلَقَتَلْتُهُمْ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ" (٥).

قَالَ ابْن حجر" إن عليا حرق قوما هم السبئية أَتبَاع عبد الله بن سبأ وَكَانُوا يَزْعمُونَ أَن عليا رَبهم تَعَالي الله وتقدس عَن مقالتهم" (٦).

---

(١) ميزان الاعتدال في نقد الرجال: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ج٢ ص٤٢٦.

(٢) التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، ج٥ ص١٨٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية (٧).

(٤) الإبانة الكبرى، لابن بطة أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (المتوفى: ٣٨٧هـ)، تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري ط: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ج٢ ص٦٠٧.

(٥) رواه البخاري، باب: لا يعذب بعذاب الله، ج٤ ص٦١. مرجع سابق.

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ط: دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ج١ ص٢٩١

وقال ابن كتيبة "عَبْدَ اللهِ بْنَ سَبَأٍ ادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ لَعَلِيٍّ، فَأَحْرَقَ عَلِيٌّ أَصْحَابَهُ بِالنَّارِ" (١) .

كما تنوعت المصادر الشيعية التي أثبتت وجود – ابن سبأ ـ وتثبت وجوده وتدين من حاول من متأخري الشيعة إنكار وجود عبد الله بن سبأ، أو التشكيك في أخباره.

فروى المجلسي "عن أبي جعفر رضي الله عنه أن عبد الله بن سبا كان يدعي النبوة ويزعم أن أمير المؤمنين رضي الله عنه هو الله، تعالي عن ذلك، فبلغ ذلك أمير المؤمنين رضي الله عنه فدعاه وسأله فأقر بذلك وقال: نعم أنت هو، وقد كان القي في روعي أنك أنت الله وأني نبي. فقال له أمير المؤمنين رضي الله عنه: ويلك قد سخر منك الشيطان فارجع عن هذا ثكلتك أمك وتب، فأبى فحبسه واستتابه ثلاثة أيام فلم يتب فأحرقه بالنار، وقال: إن الشيطان استهواه فكان يأتيه ويلقي في روعه ذلك" (٢) .

ونقل القمعي "أن عبد الله بن سبأ أول من أظهر الطعن علي أبي بكر، وعمر، وعثمان، والصحابة وتبرأ منهم " (٣) .

وقال النوبختي عن أخبار ابن سبأ فذكر انه لما بلغ نعي علي بالمدائن قال للذي نقله: "كذبت، لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة، وأقمت علي قتله سبعين عدلا ما صدقناك، لعلمنا أنه لم يمت، ولم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض" (٤) .

---

(١) تأويل مختلف الحديث: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ط: المكتب الإسلامي، مؤسسة الإشراق ج١ ص١٢٥ .

(٢) بحار الأنوار: العالم العلامة الحجة فخر الأمة المولي الشيخ محمد باقر المجلسي " قدس الله سره "الناشر: مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ج٢٥ ص٢٨٦ .

(٣) المقالات والفرق القمي، أبو خلف سعد بن عبد الله الأشعري، تحقيق: محمد جواد مشكور، ١٩٦٣م، طهران، ص ٢٠ـ٢١.

(٤) رواه البخاري، باب: لا يعذب بعذاب الله، ج٤ ص٦١ .

وذكر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ما نصه: "فلما قتل أمير المؤمنين رضي الله عنه أظهر ابن سبأ مقالته، وصارت له طائفة وفرقة يعرفونه ويتبعونه" [١] .

فشخصية ابن سبأ شخصية حقيقية كما أن كل الروايات التي ذكرت ليست عن سيف بن عمر [٢].

فغرز ابن سبأ البذرة ووجد بعد ذلك من يسقيها فكبرت الفكرة، وضمت إليها أفكاراً أخرى، وجاء بعد ذلك من عمَّمها في مجموعة من أولاد علي، وحاولوا أن يجدوا لها دليلاً فلم يسعفهم الدليل فزعموا أن الدليل غاب مع الغائب، وأن الصحابة أخفوا هذه الأدلة التي ذكرت في القرآن، ولما لم يسعفهم القرآن ولم يسعهم أن ينكروه أولوه ليتفق وفكرتهم بيد أنهم أنكروا السنة ومع ذلك أخذوا بها في بعض المواضع التي يرون أنها تخدم فكرتهم حتى ولو كان حديثا ضعيفا أو موضوعا وملئوا فراغ الدليل بروايات يقولون أنها عن أهل البيت بسند لا نعرف رجاله، ولا نستطيع أن نذهب إلي كتب موثوق بها لترجمتهم كما ذهبوا أيضا إلي الدليل العقلي وسوف

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

---

(١) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد، أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله، تحقيق: حسن تميم، ١٩٦٣م، نشر مكتبة الحياة، بيروت، ج٢، ص٩٩.

(٢) قال عنه الذهبي: " سيف بن عمر الضبي الأسيدى، ويقال التميمي البرجمى، ويقال السعدي الكوفي، مصنف الفتوح والردة وغير ذلك هو كالواقدي يروى عن هشام بن عروة، وعبيد الله بن عمر، وجابر الجعفي، وخلق كثير من المجهولين كان إخباريـًا عارفـًا....وقال أبو داود: ليس بشي.وقال أبو حاتم:متروك وقال ابن حبان: اتهم بالزندقة، وقال ابن عدي: عامة حديثه منكر." ميزان الاعتدال في نقد الرجال: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ج٢ ص٢٥٥. و قال ابن حجر: " سيف ابن عمر التميمي صاحب كتاب الردة ويقال الضبي ويقال غير ذلك الكوفي ضعيف الحديث عمدة في التاريخ أفحش ابن حبان القول فيه من الثامنة مات في زمن الرشيد" تقريب التهذيب: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد عوامة، ط: دار الرشيد، سوريا، ج١ ص٢٦٢، فلماذا نأخذ بعض الأقوال ونترك بعضها فهو عمدة في التاريخ كما ذكر ابن حجر وفي الواقع إن سيف بن عمر لم يكن المصدر الوحيد الذي استأثر بأخبار عبد الله بن سبأ كما مر بل ورد ذكر أخبار ابن سبأ عن علماء متقدمين من الشيعة أنفسهم .

أتحدث عن ذلك باستفاضة ولكن سأبدأ بأهل السنة أولاً.

المبحث الثاني

رؤية أهل السنة للإمامة وأدلتهم

المطلب الأول

الإمامة من الفروع وليست من الأصول

يري أهل السنة أن الإمامة ليست من الأصول، فهم يذكرونها في أبواب الفقه، لكنهم أدخلوها في باب العقيدة مضطرين للرد عل أصحاب البدع، وسوف أبين عن رؤيتهم للإمامة وصفات الإمام. وإذا نظرنا إلي القرآن والسنة لا نجد فيهما حديثا يقول أن الإمامة من أركان الدين والآيات القرآنية لا تشير أدنى إشارة إلي تحديد الإمام وعصمته ورجعته، معنى ذلك أن الإمامة ليست جزءًا من الإيمان كما ذهب إلي ذلك الشيعة، ففي كل الآيات لم يذكر من ضمنها أن المؤمنين يؤمنون بالإمامة والسنة لم تذكر في الأحاديث أن الإمامة ركن من أركان الإيمان.

فالجمهور على أن الإمامة من فروع الفقه: وهم جمهور أهل السُّنَّة والجماعة حيث لم يعتبروها من مباحث علم الكلام" فالنظر في الإمامة ليس من المهمات، وليس أيضًا من فن المعقولات فيها من الفقهيات، ثم إنها مثار للتعصبات والمعرض عن الخوض فيها أسلم من الخائض، بل وإن أصاب، فكيف إذا أخطأ! ولكن إذا جرى الرسم باختتام المعتقدات به أردنا أن نسلك المنهج المعتاد فإن القلوب عن المنهج المخالف للمألوف شديدة النفار" (١) .

وقال الآمدي: "وَاعْلَم أَن الْكَلَام فِي الْإِمَامَة لَيْسَ من أُصُول الديانَات وَلَا من الْأُمُور اللا بديات ـ مما لابد منه ـ بِحَيْثُ لَا يسمع الْمُكَلف الْإِعْرَاض عَنْهَا وَالْجهل بهَا بل لعمري إِن المعرض عَنْهَا لأرجى حَالا من الواغل فِيهَا فَإِنَّهَا قَلما تنفك عَن التعصب والأهواء وإثارة الْفِتَن والشحناء وَالرَّجم بِالْغَيْبِ فِي حق الأئمة وَالسَّلَف بالإزراء وَهَذَا مَعَ كَون الخائض فِيهَا سالكا سَبِيل التَّحْقِيق فَكيف إِذا كَانَ خَارِجا عَن سَوَاء الطَّرِيق لَكِن لما جرت الْعَادة بذكرها فِي أَوَاخِر كتب الْمُتَكَلِّمين

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد، للغزالي، ج ١ ص ١٢٧ .

والإبانة عَن تحقيقها فِي عَامَّة مصنفات الْأُصُولِيِّينَ لم نر من الصَّوَاب خرق الْعَادة بترك ذكرهَا فِي هَذَا الْكتاب مُوَافقَة للمألوف من الصِّفَات وجريا علي مُقْتَضى الْعَادَات" [١] .

وقال العضد الإيجي: "الإمامة عندنا من الفروع وإنما ذكرناها في علم الكلام تأسياً بمن قبلنا"[٢].

وقال التفتازاني: "لا نزاع في أن مباحث الإمامة بعلم الفروع أليق لرجوعها إلي أن القيام بالإمامة ونصب الإمام الموصوف بالصفات المخصوصة من فروض الكفايات وهي أمور كلية تتعلق بها مصالح دينية أو دنيوية لا ينتظم الأمر إلا بحصولها فيقصد الشارع تحصيلها في الجملة من غير أن يقصد حصولها من كل أحد ولا خفاء في أن ذلك من الأحكام العملية دون الاعتقادية" [٣]، ولكن لما شاعت بين الناس في باب الإمامة اعتقادات فاسدة تكاد تفضي إلي رفض كثير من قواعد الإسلام ألحق المتكلمون هذا الباب بأبواب الكلام .

وزعمت الشيعة أنها من أصول الدين فقالوا: "وأي فائدة فيما أجمع عليه الفرقة المحقة من كون الإمامة من أصول الدين ردا على المخالفين القائلين بأنه من فروعه" [٤].

وقالت الإسماعيلية: "الإمامة هي قطب الدين وأساسه، والتي يدور عليها جميع أمور الدين والدنيا، وصلاح الآخرة والأولي، وينتظم بها أمور العباد وعمارة البلاد، وقبول الجزاء في دار المعاد، وبها يصل إلي معرفة التوحيد والرسالة بالحجة والبرهان، والدلالة إلي معرفة الشريعة

---

(١) غاية المرام في علم الكلام: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ)، المحقق: حسن محمود عبد اللطيف: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ج١ ص٣٦٣ .

(٢) المواقف للعضد الإيجي، ج٣ ص٥٧٤ .

(٣) شرح المقاصد في علم الكلام، التفتازانى، ج ٢ ص ٤٢١ .

(٤) بحار الأنوار: العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولي الشيخ محمد باقر المجلسي، ط: مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان ج٨ ص٣٦٨ .

وبيانها .. " [١] .

والحقّ هو ما صرّح به الجمهور من أنّ الإمامة من فروع الدين لا من أُصوله، وأن نصب الإمام لتحقيق مصالح الناس، ولا صلة له بأُصول الدين.

المطلب الثاني

القرآن والسنة نصا على نصب الإمام لا تعيينه

القرآن والسنة نصا على وجوب نصب الإمام ولكن لم ينصا على تحديده وتعيينه بالاسم. حتى النبي ﷺ لما أراد أن ينص على ذلك خشي على اختلاف الناس، فلمح لأبى بكر ولم يصرح وتعليل ذلك هو الخوف من الاختلاف، فلو حدد أحدا ربما قال الناس بوراثة الإمامة في ذريته كما تقول الشيعة أو يتخذها الناس سنة فيحددون لها أشخاصا وربما لا يكونون أكفاء فيختلف الناس عليهم. "وقد كان النبي ـ صلي اللّه عليه وآله وسلَّم ـ يقبَل إسلام من أسلم من دون أن يسأله عن واقع الإمامة، وانّه هل هو منصب إلهي أو اجتماعي، ومن دون أن يعلمه بلزوم اجتماع الأمة بعد رحيله علي نصب إمام لهم، و لم يكن أي أثر من تلك المباحث في عصر النبي ـ صلي اللّه عليه وآله و سلَّم ـ فلذلك لم يتلق أهل السنّة الإمامة والخلافة بعد النبي ـ صلي اللّه عليه وآله و سلَّم ـ أمراً أصيلاً من صميم الدين" [٢] .

واستدل العلماء علي وجوب نصب الإمام بمفهوم الأدلة مثل قوله تعالي: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [٣] يقول القرطبي: "هَذِهِ الْآيَةُ أَصْلٌ فِي نَصْبِ إِمَامٍ وَخَلِيفَةٍ يُسْمَعُ لَهُ وَيُطَاعُ، لِتَجْتَمِعَ بِهِ الْكَلِمَةُ، وَتَنْفُذُ بِهِ أَحْكَامُ الْخَلِيفَةِ. وَلَا خِلَافَ فِي

(١) إثبات الإمامة للنيسابوري، ص ٢٧.

(٢) انظر: مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني، المحقق :جعفر الهادي، ج٢ ص٦٨ .

(٣) سورة البقرة، الآية (٣٠) .

وُجُوبِ ذَلِكَ بَيْنَ الْأُمَّةِ وَلَا بَيْنَ الْأَئِمَّةِ إِلَّا مَا رُوِيَ عَنِ الْأَصَمِّ[١] حَيْثُ كَانَ عَنِ الشَّرِيعَةِ أَصَمَّ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ قَالَ بِقَوْلِهِ وَاتَّبَعَهُ عَلَي رَأْيِهِ وَمَذْهَبِهِ، قَالَ: إِنَّهَا غَيْرُ وَاجِبَةٍ فِي الدِّينِ بَلْ يَسُوغُ ذَلِكَ، وَأَنَّ الْأُمَّةَ متى أقاموا حجهم وَجِهَادَهُمْ، وَتَنَاصَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَبَذَلُوا الْحَقَّ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَقَسَمُوا الْغَنَائِمَ وَالْفَيْءَ وَالصَّدَقَاتِ عَلي أَهْلِهَا، وَأَقَامُوا الْحُدُودَ عَلي مَنْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ، أَجْزَأَهُمْ ذَلِكَ، وَلَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يُنَصِّبُوا إِمَامًا يَتَوَلى ذَلِكَ. وَدَلِيلُنَا قَوْلُ اللهِ تَعَالي: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٢]، وَقَوْلُهُ تَعَالي: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ﴾[٣]، وَقالَ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[٤] أَيْ يَجْعَلُ مِنْهُمْ خُلَفَاءَ، إِلي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيِ. وَأَجْمَعَتِ الصَّحَابَةُ عَلي تَقْدِيمِ الصِّدِّيقِ بَعْدَ اخْتِلَافٍ وَقَعَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ فِي التَّعْيِينِ" [٥] .

ومن السنة فَفِي سُنَنِ أَبِي داود عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ » [٦] .

"فَإِذَا كَانَ قَدْ أَوْجَبَ فِي أَقَلِّ الْجَمَاعَاتِ وَأَقْصَرِ الِاجْتِمَاعَاتِ أَنْ يُوَلي أَحَدُهُمْ: كَانَ هَذَا تَنْبِيهًا عَلي وُجُوبِ ذَلِكَ فِيمَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ" [٧] .

والشيعة يقولون بأنه لا بد من التعيين لأن فيه لطف حتى لا يختلف الناس، وأقول إن العكس هو

---

(١) الأصم: من كبار المعتزلة واسمه أبو بكر

(٢) سورة البقرة، الآية (٣٠) .

(٣) سورة ص، الآية (٢٦) .

(٤) سورة النور، الآية (٥٥) .

(٥) تفسير القرطبي، ط:دار الكتب المصرية، القاهرة، ج١ ص٢٦٤ .

(٦) رواه أبو داود، دار الرسالة العالمية، ج٤ ص٢٤٩ .

(٧) الحسبة، لابن تيمية، ج١ ص١٨٢ .

الذي سيحدث يقول ابن تيمية "وأيضًا إن تأملنا علمنا أن نصب الإمام من قبل الباري يتضمن مفاسد كثيرة، لأن آراء العالم مختلفة وأهواء نفوسهم متفاوتة، ففي تعيين رجل لتمام العالم في جميع الأزمنة إلي منتهي بقاء الدنيا إيجاب لتهييج الفتن، وجر لأمر الإمامة علي التعطيل ودوام الخوف والتزام الاختفاء كما وقع للجماعة الذين يعتقد الشيعة إمامتهم، فمع هذا قولهم «نصب الإمامة لطف» في غاية السفاهة يضحك عليه، إذ لو كان لطفا لكان بالتأييد والإظهار لا بغلبة المخالفين والانتصار، فإذا لم يكن التأييد في البين، لم يكن النصب لطفا كما يظهر لذي عينين"(١) .

المطلب الثالث

كيفية اختيار الإمام عند أهل السنة

اختلاف صورة اختيار الإمام بالنسبة للخلفاء دليل علي عدم وجود نص يحدد آلية الاختيار، فقد اختير أبو بكر بالبيعة، وعمر باستخلاف أبى بكر له، وعثمان من بين الستة أهل الشورى الذين اختارهم عمر، والإمام علي بالبيعة العامة وهذا دليل علي أن الإسلام لم يحدد آلية الاختيار وهي متروكة لظروف وعادات كل بلد فلو اتفق علي اختيار الإمام عن طريق الانتخاب فلا مانع من هذا، والشيعة أنفسهم يفعلون هذا الآن، والإمامة من القضايا التي وضع لها الإسلام أصولا عامة من العدل والشورى والطاعة لولي الأمر وترك تفاصيلها للمسلمين لاختلاف البيئات والأزمنة.

ولكن الاختيار عن طريق ولاية العهد لا يوافق عليه الدكتور محمد عمارة في لقاء علي قناة التحرير فيقول: والنظام الذي يفرض علينا نظاما معينا لا يحقق إرادة الأمة لا يقره الإسلام بمعنى تحجيم الأمة وتعظيم الدولة " وما فعله الخلفيتين من النص علي عمر واختيار ستة ليختاروا منهم واحدا لم تكن فرضا علي المسلمين وإنما يعتبر نوع من النصيحة لأنه لا بد من رضا المسلمين علي من رشح لهم "وتنعقد الإمامة بطرق أحدها بيعة أهل الحل والعقد من العلماء والرؤساء

---

(١) مختصر التحفة الاثنى عشرية، للدهلوي، ط:المطبعة السلفية، القاهرة، ج١ ص١١٦ .

ووجوه الناس الذين يتيسر حضورهم من غير اشتراط عدد ولا اتفاق من في سائر البلاد بل لو تعلق الحل والعقد بواحد مطاع كفت بيعته والثاني استخلاف الإمام وعهده وجعله الأمر شورى بمنزلة الاستخلاف إلا أن المستخلف غير متعين فيتشاورون ويتفقون علي أحدهم" [١] .

هل يشترط في الإمام أن يكون من قريش ومن ولد فاطمة :

بداية من هم آل البيت :

آل البيت النبوي هم عصبته وهُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ أما حديث الذي رواه الترمذي عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، رَبِيبِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ عَلي النَّبِيِّ ﷺ "إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا" فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، فَدَعَا فَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَجَلَّلَهُمْ بِكِسَاءٍ، وَعَلِيٌّ خَلْفَ ظَهْرِهِ فَجَلَّلَهُ بِكِسَاءٍ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا. قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: وَأَنَا مَعَهُمْ يَا نَبِيَّ اللهِ، قَالَ: أَنْتِ عَلي مَكَانِكِ وَأَنْتِ عَلي خَيْرٍ" [٢] وضحه حديث زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قال: قَالَ رسول الله ﷺ: ﴿ وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ﴾ فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ يَا زَيْدُ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ" والحديث يبين أن نساؤه من أهل بيته لكن الحديث الآتي يبن عكس ذلك فعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَيْهِ فَقُلْنَا لَهُ: لَقَدْ رَأَيْتَ خَيْرًا، لَقَدْ صَاحَبْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِ حَدِيثِ أَبِي حَيَّانَ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: "أَلَا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ:

---

(١) شرح المقاصد في علم الكلام، التفتازاني، ج٢ ص٤٢١ .

(٢) سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)،المحقق: بشار عواد معروف باب: من سورة الأحزاب، ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨م، ج٥ ص٢٠٤ وقال هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ عَطَاءٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ.

أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، هُوَ حَبْلُ اللهِ، مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلي الْهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلي ضَلَالَةٍ " وَفِيهِ فَقُلْنَا: مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ نِسَاؤُهُ؟ قَالَ: لَا، وَايْمُ اللهِ إِنَّ الْمَرْأَةَ تَكُونُ مَعَ الرَّجُلِ الْعَصْرَ مِنَ الدَّهْرِ، ثُمَّ يُطَلِّقُهَا فَتَرْجِعُ إِلي أَبِيهَا وَقَوْمِهَا أَهْلُ بَيْتِهِ أَصْلُهُ، وَعَصَبَتُهُ الَّذِينَ حُرِمُوا الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ ﴾[١] .

قال النووي "فهاتان الروايتان ظاهرهما التَّنَاقُضُ وَالْمَعْرُوفُ فِي مُعْظَمِ الرِّوَايَاتِ فِي غَيْرِ مُسْلِمٍ أَنَّهُ قَالَ نِسَاؤُهُ لَسْنَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ فَتُتَأَوَّلُ الرِّوَايَةُ الْأُولي عَلي أَنَّ الْمُرَادَ أنهن من أهل بيته الذين يساكنونه وَيَعُولُهُمْ وَأَمَرَ بِاحْتِرَامِهِمْ وَإِكْرَامِهِمْ وَسَمَّاهُمْ ثَقَلًا وَوَعَظَ فِي حُقُوقِهِمْ وَذَكَرَ فَنِسَاؤُهُ دَاخِلَاتٌ فِي هَذَا كُلِّهِ وَلَا يَدْخُلْنَ فِيمَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ وَقَدْ أَشَارَ إِلي هَذَا فِي الرِّوَايَةِ الْأُولي بِقَوْلِهِ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ" [٢] فآل بيت النبي كما وضحه الحديث عصبته وليس علي وآله فقط.

العدالة والكفاءة بيت القصيد:

والعدالة والكفاءة ـ فيما أرى ـ هي الضابط لاختيار الإمام ولكن "اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي اشْتِرَاطِ أَنْ يَكُونَ عَدْلاً مَنْ يَتَوَلى الْإِمَامَةَ الْكُبْرَى أَوْ مَا شَابَهَهَا مِنَ الْوِلاَيَاتِ الْعَامَّةِ. فَذَهَبَ جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ، وَالْحَنَابِلَةِ وَبَعْضِ الْحَنَفِيَّةِ إِلي اشْتِرَاطِ كَوْنِهِ عَدْلاً؛ لِأَنَّ الْفَاسِقَ مُتَّهَمٌ فِي دِينِهِ. وَذَهَبَ الْحَنَفِيَّةُ إِلي أَنَّ الْعَدَالَةَ لَيْسَتْ شَرْطًا لِلصِّحَّةِ وَأَنَّ تَقْلِيدَ الْفَاسِقِ الْإِمَامَةَ الْكُبْرَى جَائِزٌ مَعَ الْكَرَاهَةِ، وَنُقِلَتْ فِي هَذَا رِوَايَةٌ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَبَعْضِ الشَّافِعِيَّةِ" [٣] .

أما النسب النبوي خاصة، والقرشي عامة فهو مختلف فيه يقول ابن خلدون: "وأمّا شروط هذا

---

(١) رواه مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، باب : من فضائل علي ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ، ج٤ص١٨٧٣ .

(٢) شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ، ج١٥ص١٨٠ .

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية، ط: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ج٣٠ ص٩ .

المنصب فهي أربعة: العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواسّ والأعضاء ممّا يؤثّر في الرّأي والعمل واختلف في شرط خامس وهو النّسب القرشيّ" فيقول أنه يمكن أن يقوم مقامه العصبية ويعلل ذلك بـ: أنّ الأحكام الشّرعيّة كلّها لا بدّ لها من مقاصد وحكم تشتمل عليها وتشرع لأجلها، ونحن إذا بحثنا عن الحكمة في اشتراط النّسب القرشيّ، ومقصد الشّارع منه لم يقتصر فيه علي التبرّك بوصلة النّبيّ ﷺ كما هو في المشهور، وإن كانت تلك الوصلة موجودة والتّبرّك بها حاصلا لكنّ التّبرّك ليس من المقاصد الشّرعيّة كما علمت فلا بدّ إذن من المصلحة في اشتراط النّسب وهي المقصودة من مشروعيّتها وإذا سبرنا وقسمنا لم نجدها إلّا اعتبار العصبيّة الّتي تكون بها الحماية والمطالبة ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب فتسكن إليه الملّة وأهلها وينتظم حبل الألفة فيها" [١] .

ولكن الشيعة قصروا الإمامة على "علي وبنيه وقصروا عليهم وزوجه أنهم آل البيت وهذا غير مسلم كما مر فآل بيته هم آلُ عَلِيٍّ، وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ.

المطلب الرابع

الإمام بشر يصيب ويخطئ

يظل أهل السنة في المنطقة الوسط بين الإفراط، والتفريط إفراط الشيعة في الإمامة وصفات الإمام وتشددهم وما بين تفريط الخوارج الذين لا يرون وجوب الإمامة، فالإمامة عند أهل السنة قضية مصلحية تناط باختيار العامة، وينتصب الإمام بنصبهم وليست هي قضية أصولية كما يعتبرها الشيعة من أركان الدين. والإمام إنسان مثل الناس، والأصل في الإسلام البراءة ما لم يأت نص يدل على المراد. (فالمسلمين يعدون الإمام شخصا عاديا في تكوينه ومعارفه ودوره لا يتجاوز دور المنفذ لشرع الله، وأنه يعرض عليه الخطأ والانحراف كما يعرض لسائر الناس ويقوم ويعارض ويحارب إذا خالف أمر الله، وهو فوق هذا يختار وينتخب من قبل الشعب وفقا لمبادئ

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ط: دار الفكر، بيروت، ج١ ص٢٤١ .

الشورى) [1] .

فعند أهل السنة الإمام ليس كهنوتا ممثل عن الله في الأرض كما عند الشيعة إنما هو بشر يسوس الدنيا بمرجعية الدين وهو في شؤون الدنيا يقول لأهل الاختصاص أنتم أعلم بشئون دنياكم، ولكن دنيا منضبطة بأخلاق الإسلام من صدق وأمانة وإخلاص وغيرها وفي أمور الدين يستعن أيضا بأهل العلم من أهل الاختصاص .

الإمام واحد من الناس يصيب ويخطئ، ويحسن ويسيء، وعلي المسلمين إذا أصاب وأحسن أن يعينوه، وإن أخطأ أو أساء أن يقوموه، وهو أعلنه الخليفة الأول في أول خطبة له، فليس للإمام أو الخليفة عصمة ولا صفة قداسة تجعله فوق المسائلة، فمنصبه منصب تكليف لا تشريف" وَسَائِرِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَأَئِمَّةُ الدِّينِ لا يَعْتَقِدُونَ عِصْمَةَ أَحَدٍ مِنْ الصَّحَابَةِ وَلَا الْقَرَابَةِ وَلَا السَّابِقِينَ وَلَا غَيْرِهِمْ؛ بَلْ يَجُوزُ عِنْدَهُمْ وُقُوعُ الذُّنُوبِ مِنْهُمْ، وَاَللهُ تَعَالي يَغْفِرُ لَهُمْ بِالتَّوْبَةِ، وَيَرْفَعُ بِهَا دَرَجَاتِهِمْ، وَيَغْفِرُ لَهُمْ بِحَسَنَاتٍ مَاحِيَةٍ، أَوْ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْأَسْبَابِ، ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٣٥﴾ [2] وَلَكِنَّ الْأَنْبِيَاءَ ـ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ ـ هُمْ الَّذِينَ قَالَ الْعُلَمَاءُ: إنَّهُمْ مَعْصُومُونَ مِنْ الْإِصْرَارِ عَلي الذُّنُوبِ. فَأَمَّا الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ؛ وَالصَّالِحُونَ: فَلَيْسُوا بِمَعْصُومِينَ، وَهَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ، وَأَمَّا مَا اجْتَهَدُوا فِيهِ: فَتَارَةً يُصِيبُونَ، وَتَارَةً يُخْطِئُونَ. فَإِذَا اجْتَهَدُوا فَأَصَابُوا فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِذَا اجْتَهَدُوا وَأَخْطَئُوا فَلَهُمْ أَجْرٌ عَلي اجْتِهَادِهِمْ، وَخَطَؤُهُمْ مَغْفُورٌ لَهُمْ" [3] .

---

(١) انظر: النظام السياسي في الإسلام، د/ محمد سليم العوا، ص ١٤٧-٢٣٦ .

(٢) سورة الزمر، الآية (٣٥) .

(٣) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، ط: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، ج٣ ص٤٥٣ .

والإمامة عند أهل السنة من مصالح الناس يجتمعون عليها ويختارون لها الكفء وليست من أركان الدين وإنما هي من أمور الشورى.

وما الحاجة إلي إمام معصوم لا يخطئ ووظيفته إقامة الحدود، وسد الثغور وتجهيز الجيوش، والأمور المتعلقة بحفظ النظام، وحماية بيضة الإسلام فهي نيابة دنيوية، أما النيابة الدينية فقد اكتمل الوحي وحفظ وفيه تبيان كل شيء قال تعالي: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [(١)] وقال تعالي: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [(٢)] .

المطلب الخامس

ممارسة النبي ﷺ والخلفاء للإمامة

كان النبي ﷺ يسوس الناس ويستشيرهم فيما يستجد له من الأمور وفيما لم ينزل عليه فيه وحى فكان يسأل ويناقش، ويقترح عليه وينزل عن رأيه إلي رأي أصحابه، فقد ثبتت مشاورته لهم في أمور كثيرة، وليست المشاورة قاصرة علي أمور الحرب أو الجانب العسكري، ومبدأ الشورى الذي أقره الإسلام يبطل القول بالعصمة، فالهدف منها إضافة عقول جديدة، وأفكار يستضئ بها الإمام، وإلا كان تشريعها عبثيًا "علي أَن الرَّسُول مَعْصُوم فِي تَبْلِيغ الدّين وإقامته، وَقد جعله الله أُسْوَة حَسَنَة لأمته، وَكَانَ الصَّحَابَة علي هَذَا يراجعون النَّبِي ﷺ فِيمَا يَقُوله بِرَأْيِهِ فِي الْمصَالح الْعَامَّة كالحرب وَالسّلم ويبدون آراءهم، وَكَانَ يرجع عَن رَأيه إِلي رَأْي الْوَاحِد مِنْهُم إِذا تبين لَهُ أَنه الصَّوَاب، كَمَا رَجَعَ إِلي رَأْي الْحباب بن الْمُنْذر يَوْم بدر، وَإِلي رَأْي الْجُمْهُور بعد الشورى،

(١) سورة النحل، الآية (٨٩) .

(٢) سورة المائدة، الآية (٣) .

وَإِن لم يظْهر لَهُ أَنه أصوب كَمَا فعل يَوْم أحد" (١). وَقد قَالَ: ﴿ إِنَّهُ لَوْ حَدَثَ فِي الصَّلاَةِ شَيْءٌ لَنَبَّأْتُكُمْ بِهِ، وَلَكِنْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي ﴾ (٢).

وقال: ﴿ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّهُ يَأْتِينِي الخَصْمُ، فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغَ مِنْ بَعْضٍ، فَأَحْسِبُ أَنَّهُ صَدَقَ، فَأَقْضِيَ لَهُ بِذَلِكَ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ مُسْلِمٍ، فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ، فَلْيَأْخُذْهَا أَوْ فَلْيَتْرُكْهَا ﴾ (٣).

قال المهلب: هذا يدل أن القوى علي البيان البليغ في تأدية الحجة قد يغلب بالباطل من أجل بيان، فيقضى له علي خصمه" (٤).

وروى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال عمر بن الخطاب: ﴿ يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ، وَأُمِّي، أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ، مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ، فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا، فَخَلِّهِمْ يَعْمَلُونَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «فَخَلِّهِمْ" ﴾ (٥).

ممارسة الخلفاء للإمامة:

الإمام كما مر بشر يجري عليه ما يجرى علي الناس من النسيان، والخطأ، وقد بين الخلفاء الراشدين هذا في أول خطبة قالوها بعد توليهم الخلافة لاسيما أبو بكر الصديق رضي الله عنه هذا الرجل

---

(١) الخلافة: محمد رشيد بن علي رضا، ط: الزهراء للإعلام العربي، القاهرة،ج١ ص١٣٤ .

(٢) رواه البخاري، باب:التوجه نحو القبلة حيث كان، ج١ ص٨٩ .

(٣) رواه البخاري، باب: إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه، ج٢ ص١٣١ .

(٤) شرح صحيح البخاري، لابن بطال: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ط: مكتبة الرشد، السعودية، الرياض الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ج٢ ص١٣١ .

(٥) رواه مسلم، ط:دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٦ ص٥٨٣ .

الضخم الرائع لم يتول غير سنتين يعيد فيها الجزيرة ـ التي ارتدت بعد وفاة النبي ـ إلي الإسلام وتمتد ذراعيه وتطول فارس والروم ويشرع في فتحها، ويجمع القرآن وينفق جميع ماله في سبيل الله، ويبق لأهله الله ورسوله، فبين أبو بكر ملامح سياسته من أنه مثل باقي البشر، ولا يفضل عليهم، وأنه يسير في الناس بالعدل، وأنه يقبل النصيحة ويعطي للناس حرية الرأي في نقده.

روى مالك في موطئه قال: "حدثني مالك بن أنس، عن هشام بن عروة، عن أبيه، أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه خطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال أما بعد فإني وُليت أمركم، ولست بخيركم، ألا وإن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ كذا أيها الناس إنما أنا متبع، ولست بمبتدع، فإن أنا أحسنت فأعينوني، وإن زغت فقوموني، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم. قال مالك لا يكون أحد إماماً أبداً إلا علي هذا الشرط" (١) .

وقال عمر بن عبد العزيز عندما ولي الخلافة: "أَلَا إِنِّي لَسْتُ بِخَيْرِكُمْ وَلَكِنِّي رَجُلٌ مِنْكُمْ غَيْرُ أَنَّ اللهَ جَعَلَنِي أَثْقَلَكُمْ حِمْلاً" (٢) .

والله وحده هو الذي وصف نفسه بقولهّ: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٣) "فكل ما عداه سبحانه يسألون عما فعلوا ويحاسبون" (٤) .

والإمام خادم للأمة فعَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْحَرَسَيِّ، وَكَانَ مِنْ حَرَسِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: دَخَلَ أَبُو

(١) رواه مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، المحقق: محمد مصطفي الأعظمي، ط: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي، الإمارات الطبعة: الأولي، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م، ج١ص١٦١ .

(٢) الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ج٥ ص٢٨٦ .

(٣) سورة الأنبياء، الآية (٢٣) .

(٤) من فقه الدولة في الإسلام، د/ يوسف القرضاوي، ط:دار الشروق، ص٣٤ .

مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ عَلي مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ وَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَجِيرُ» فَقَالَ النَّاسُ الْأَمِيرُ يَا أَبَا مُسْلِمٍ ثُمَّ قَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَجِيرُ» فَقَالَ النَّاسُ: الْأَمِيرُ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: دَعُوا أَبَا مُسْلِمٍ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُ" (١) .

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، ط: السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ج٢ ص١٢٥ .

المبحث الثالث

رؤية الشيعة لمسألة الإمامة وأدلتهم عليها

تمهيد:

قبل الحديث عن رؤية الشيعة للإمامة، وصفات الإمام، لا بد من بيان خريطة الشيعة، وبيان أبرز فرقهم.

المطلب الأول

شجــرة الشيعــة

يرى الجاحظ أن الشيعة فرقتان هما: الزيدية والرافضة: فيقول: "اعلم رحمك الله أن الشيعة رجلان: زيدي، ورافضي، وبقيتهم بدد لا نظام لهم" [١] .

ويأخذ بهذا التقسيم شيخ الشيعة المفيد، ويقول: بأن الشيعة رجلان: إمامي، وزيدي" [٢] .

ولو أخذنا بقول الجاحظ بأن الشيعة زيدية ورافضة وما تفرع عنها نستطيع بعدها أن نتعرف عليهم ونظرتهم للأئمة والإمامة.

فبدأت الشيعة بساق واحدة فاتفقوا علي إمامة علي رضي الله عنه ثم اختلفوا بعد ذلك في فروعه "بنيه" فقال بعضهم بإمامة الفرع الأول الحسين فأبقوا الإمامة ففي نسله وهم علي "زين العابدين" وفرعاه محمد الباقر وأخيه زيد فاتبع بعضهم زيد وهم الزيدية واتبع بعضهم محمد الباقر وابنه جعفر الصادق والذي أنجب موسى الكاظم وإسماعيل فاتبع بعضهم إسماعيل وهم الإسماعيلية واتبع بعضهم أخيه موسى الكاظم وأبقوا الإمامة في نسله إلي الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن وبعضهم أبقى الإمامة في الفرع الثاني وهو الحسن وبنيه وبعضهم أبقى الإمامة في الفرع الثالث

---

(١) رسائل الجاحظ، رسالة استحقاق الإمامة، تحقيق: عبد السلام هارون، ص ٢٠٧ .

(٢) الإرشاد، للشيخ/ المفيد، ص ١٩٥ .

وهو محمد بن الحنفية وهم الكيسانية فالشيعة لهم خبط طويل في سوق الإمامة كما يقول الشهرستانى (واختلفوا بعد علي رضي الله عنه، فمنهم من قال إنه نص علي ابنه محمد بن الحنفية، وهؤلاء هم الكيسانية ومنهم من قال بالنص علي الحسن والحسين رضي الله عنهما، ثم اختلفوا، فمنهم من أجرى الإمامة في أولاد الحسن، فقال بعده بإمامة ابنه الحسن، ثم ابنه عبد الله، ثم ابنه محمد، ثم أخيه إبراهيم الإمامين، وقد خرجا في أيام المنصور فقتلا في أيامه، ومنهم من أجرى الوصية في أولاد الحسين وقال بعده بإمامة ابنه علي بن الحسين زيد العابدين نصا عليه. ثم اختلفوا بعده، فقالت الزيدية بإمامة ابنه زيد. .. والإمامية قالوا بإمامة محمد بن علي الباقر نصا عليه، ثم بإمامة جعفر بن محمد الصادق وصية إليه، ثم اختلفوا بعده في أولاده: من المنصوص عليه وهم خمسة: محمد، وإسماعيل، وعبد الله، وموسى، وعلي الرضا ، ومنهم من ساق الإمامة في أولاد إسماعيل نصا بعد نص إلي يومنا هذا، وهم الإسماعيلية، ومنهم من ساق الإمامة في علي الرضا ثم إلي ابنه محمد الجواد، ثم إلي ابنه علي الهادي، ثم إلي ابنه الحسن العسكري، ثم إلي ابنه محمد القائم المنتظر الثاني عشر، وقالوا: هو حي لم يمت، ويرجع فيملأ الدنيا عدلاً، كما ملئت جورا وهم الاثنا عشرية) (١) .

ولم يتبق من الفرق الحية سوى الزيدية والإمامية وما تفرع عنها من الإسماعيلية والعلوية، وهذه نظرة سريعة عن رؤيتهم للإمامة، وصفات الإمام.

١- الإماميــــة:

وهم القائلون بأن إمامة علي ثابتة بالنص عليه بالذات من النبي صلى الله عليه وسلم نصـًا ظاهراً من غير تعريض بالوصف، ولا بإشارة بالعين، وسموا إمامية لتركيز آرائهم حول الإمامة، والقول باختفاء الأئمة ورجعتهم، وهي منتشرة في إيران والعراق والهند. والاعتراف بالإمام جزء من حقيقة الإيمان

---

(١) انظر: الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، ج١ ص٣٩، مرجع سابق .

وبدونه يكون الشخص كافراً، وجعلوا سلسلة الخلافة بعد علي في أولاد فاطمة. فاتفقوا علي إمامة الحسن والحسين واختلفوا بعد ذلك في تسلسل الأئمة إلي فرق متعددة، وهذه الفرقة تسمى بالجعفرية حينًا، والاثني عشرية حينًا آخر، والإمامية حينًا ثالثًا ويرون أن الإمام معصوم والإمامة ركن الدين.

٢ـ الإسماعيلية:

وهم فرع الإمامية، وسموا بذلك لأنهم يوقفون الأئمة عند إسماعيل بن جعفر، ويقولون بتعيينه بالنص من أبيه. ويسمون أيضًا بالباطنية لقولهم: إن للقرآن ظاهراً وباطنًا، والإمام يعين بالنص لا بالانتخاب، وهو معصوم من الصغائر والكبائر، وللقرآن معنى ظاهر ومعنى باطن ولا يعلم باطنه إلا الأئمة، لأنهم ورثوا علم الباطن، ولا معنى للتمسك بحرفية القرآن، ويجب فهمه علي طريقة التأويل والمجاز، ولا يؤمنون بعلم ولا بحديث إلا ما روي عن أئمتهم، وقد ظهرت هذه الطائفة في عهد الدولة العباسية، ولا يزال لها بقايا إلي اليوم في الهند وفارس وزنجبار والشام، وكان يتزعم فريقًا منهم أغاخان[١] الزعيم المشهور، وخلفه أحد أحفاده، وتقدم إليه الأموال

(١) ظهر في إيران رجل شيعي إسماعيلي اسمه حسن علي شاه، وجمع حوله عدداً كبيراً من الإسماعيلية وغيرهم فأرهبوا القوافل، وهاجموا القرى حتى ذاع صيته، وقويت شوكته، وخشيته الأسرة القاجارية الحاكمة في إيران، فأعجب الناس بقوته، وانضموا تحت لوائه طمعًا في المكاسب المادية التي وعدهم بها، وكان الإنجليز في ذلك الوقت يعلمون علي بسط الثورة ضد شاه إيران. وقام حسن علي بالثورة ضد الشاه القاجاري بعد أن وعده الإنجليز بحكم فارس، لكن الثورة لم يكتب لها النجاح، حيث قبض عليه الشاه وسجنه، فتدخل الإنجليز للإفراج عنه، فتحقق لهم ذلك علي أن ينفي خارج إيران، فزين له الإنجليز الرحيل إلي أفغانستان، فلما وصلها كشف أمره الأفغانيون، فاضطر إلي الرحيل إلي الهند فأقام بها، واتخذ من مدينة بومباي مقراً له، واعترف به الإنجليز إمامًا للطائفة النزارية الإسماعيلية لقبوه بـ "أغا خان". وتجمع الإسماعيليون في الهند حوله، فلما رأي فيهم الطاعة العمياء، كما هي طاعة الإسماعيليين لأئمتهم، قوي عوده، وأخذ ينظم شؤون طائفته إلي أن توفي سنة ١٨٨١م، الموسوعة التاريخية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف: موقع الدرر السنية علي الإنترنت **dorar.net**، ج٩ ص٥٤ .

والهدايا كل عام. وزعماء هذه الطائفة يغيرون ويبدلون في المبادئ حسب أهوائهم وأتباعهم يعتقدون أن لهم التصرف في أمور الدنيا والآخرة ولهذا تجمع الأموال للإمام لا للفقراء، وكلما امتد الزمان زاد مذهبهم فساداً ولحق الناس من أعمالهم شر كبير.

٣ـ النصيرية (العلوية) :

وهم فرع آخر من الإمامية، وقد سموا أنفسهم بالعلويين. وينسبون لمحمد بن نصير من موالي بني نمير وكان شيعيًا إماميًا من أتباع إمامهم الحادي عشر الحسن العسكري وقد أسس طائفة النصيرية بعد موت الحسن العسكري، وأهم مبادئهم: أنهم يدعون ألوهية علي والأئمة من بعده، ويزعمون أن عليًا مسكنه السحاب فإذا مر عليهم السحاب قالوا: السلام عليك يا أبا الحسن، ومقرهم شمال سوريا بالجبال المعروفة بجبال النصيرية.

٤ـ الزيديــــة :

وهم من أشهر فرق الشيعة وتنسب إلي إمامها زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب. وهي لم تغل في عقائدها ولم يكفر الأكثرون منها أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، ولم ترفع الأئمة إلي مرتبة الألوهية ولا إلي مرتبة النبوة، وقد خرج إمامهم زيد علي هشام بن عبد الملك فقتله وصلبه سنة ١٢١هـ وخرج بعده ابنه يحيى فقتل سنة ١٢٥هـ. وأصول مذهبهم: أن الإمام منصوص عليه بالوصف لا بالاسم ـ فمَا نَصَّ النبي عَلي مُعَيَّنٍ فِي الْخِلَافَةِ، وَلَكِنَّهُ ذَكَرَ عليا رضي الله عنه بِالْمَرَامِزِ وَالْمَلَامِحِ، وَالْمَعَارِيضِ، والصِّفَاتِ الَّتِي تَقْتَضِي الْإِمَامَةُ كَانَتْ مُتَوَافِيَةٌ فِي عَلِيٍّ دُونَ مَنْ عَدَاهُ، وأوصاف الإمام أن يكون فاطميًا ورعًا تقيًا سخيًا شجاعًا يخرج داعيًا الناس لنفسه ولا يقولون بالتقية. ويجوز إمامة المفضول مع وجود الفاضل، لأن هذه الصفات للإمام الأمثل فهو بها أولي من غيره فإن اختار أهل الحل والعقد إمامًا يستوف الشروط وبايعوه صحت بيعته، وبني علي هذا صحة بيعة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وعدم تكفير الصحابة ببيعتهما. وقد خذل زيداً أكثر الشيعة لقوله بهذا الأصل وكان زيد بن علي لا يتبرأ من الشيخين، فلما سمعت شيعة الكوفة هذه المقالة رفضوه فسميت رافضة ولا

يزال مذهب الزيدية في اليمن إلي اليوم) [١] .

ضابط يجمع كلمة الشيعة حول الإمامة:

ورغم أن الشيعة انقسموا علي أنفسهم إلي عدد من الفرق إلا أنهم جميعًا يكادون يتفقون علي مبدأ واحد، وهو أن الإمامة ليست من مصالح العامة التي تفوض إلي نظر الأمة، بل لا بد من النص عليها .

"فالشيعة: هم الذين شايعوا عليًا رضي الله عنه علي الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصًا ووصية، إما جليًا وإما خفيًا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، وأن الإمامة ركن الدين لا يجوز للرسل إغفالها ولا تفويضها إلي العامة، ويجمعهم – عدا الزيدية ـ القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبًا عن الكبائر والصغائر والقول بالتولي والتبري قولاً وفعلاً وعقداً إلا في حال التقية، ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك " [٢] .

ومن هذا التعريف يتبين أن جميع فرق الشيعة ـ ما عدا بعض الزيدية ـ يتفقون علي وجوب اعتقاد الإمامة، والعصمة، والتقية وغيرها.

فقامت الشيعة بتحويل الإمامة من كونها منصب سياسي إلي تصور عقائدي، فالإمامة ليست عندهم قضية مصلحية تناط باختيار العامة، وينتصب الإمام بنصبهم بل هي قضية أصولية .

ففكرة الشيعة تدور حول أن الإمامة ركن الدين ف"قالوا: وليست الإمامة قضية مصلحية تناط

---

(١) هذه خلاصة لنظرة الشيعة للإمامة وصفات الإمام جمعها صاحب كتاب تبسيط العقائد من أمهات الكتب مثل الملل والنحل والفصل والفرق بين الفرق وغيرها وقد نقلتها عنه بتصرف.انظر: تبسيط العقائد الإسلامية، حسن محمد أيوب (المتوفى: ١٤٢٩هـ)، ط: دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، الطبعة: الخامسة،١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م،ج١ ص٢٠٤ .

(٢) الاعْتِصَام، للشاطبي، ط: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ج ٣ ص ٢٥٠ .

باختيار العامة، وينتصب الإمام بنصبهم بل هي قضية أصولية، هو ركن الدين لا يجوز للرسول ﷺ إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلي العامة وإرساله، ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر، والقول بالتولي، والتبري قولا وفعلا وعقدا إلا في حال التقية" (١) .

فـ"جَمِيع الرافضة من الشِّيعَة إِلي أَنه لَا يجوز إِمَامَة من يُوجد فِي النَّاس أفضل مِنْهُ ... وَجَمِيع الزيدية من الشِّيعَة وَجَمِيع أهل السّنة إِلي أَن الْإِمَامَة جَائِزَة لمن غَيره أفضل مِنْهُ" (٢) .

فجمهور الزيدية يختلف مع باقي فرق الشيعة" فالإمام زيد وأتباعه لا يحكمون بعصمة الإمام، ولا يمنعون الأمة من تعيين من تختاره للإمامة، ولذا يجوّز الإمام زيد إمامة المفضول مع وجود الفاضل، ولا يقول بالتقية، علي أن هناك من الزيدية من يقول بعصمة فاطمة، وعلي، والحسين، ومن يقول بالنص علي إمامة الثلاثة: علي وولديه"، وأكثر الزيدية علي خلاف ذلك " (٣) .

ويقول أحمد أمين: "إن مذهب الزيدية من أعدل مذاهب الشيعة وأقربها إلي أهل السنة حيث لا يسبون الصحابة (رضوان الله عليهم) وينظرون إلي الإمامة نظرة اعتدال، ولا يقولون بوجوب النص ولا بعصمة الأئمة" (٤) .

بل ربما خالفوا عليا في بعض المسائل قال الإمام الشوكانى "كَثِيرًا مَا تَرَى جَمَاعَةً مِنْ الزَّيْدِيَّةِ فِي مُؤَلَّفَاتِهِمْ يَجْزِمُونَ بِحُجِّيَّةِ قَوْلِ عَلِيٍّ رضي الله عنه إنْ وَافَقَ مَا يَذْهَبُونَ إلَيْهِ وَيَعْتَذِرُونَ عَنْهُ إنْ خَالَفَ بِأَنَّهُ

---

(١) الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، ط: مؤسسة الحلبي، ج١ ص١٤٦ .

(٢) الفصل في الملل والنحل، لابن حزم، ط:مكتبة الخانجي، القاهرة، ج٤ ص١٢٦ .

(٣) أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية، ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، ط: بدون، ج١ ص٥١ .

(٤) انظر: فجر الإسلام، أحمد أمين، ص٢٧٢ .

اجْتِهَادٌ لَا حُجَّةَ فِيهِ" [١] .

وخالص الأمر أن الزيدية يختلفون عن باقي الشيعة [٢] إلا في القول بالنص علي إمامة علي تلميحا فقط ومع ذلك يجوزون إمامة المفضول.

قال عز الدين بن الحسن وهو زيدي "قال الإمام المهدي عليه السلام "وقد بالغت الإمامية، وكذلك الجارودية من الزيدية فزعموا أن إمامة المفضول لا تصح، ولو لعذر مانع عن قيام الأفضل وهو غير صحيح فإن المفضول إذا كان أصلح وأرجح في قيامه بالمصالح المقصودة من الإمامة، فهو

(١) نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، ط: دار الحديث، مصر، الطبعة: الأولي، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ج ٥ص ٢٩٤ .

(٢) إذا قارنا بين آراء الزيدية في مسألة العصمة والإمامة والتقديس والرجعة والمعجزة والتقية والمهدية وتخطئة الصحابة، بآراء الشيعة الإمامة وببقية الفرق الأخرى لوجدنا أن هناك فرقًا كبيرًا بينهما، ولا يعني هذا خلو المذهب الزيدي من بعض المسائل والشوائب التي دخلت عليهم عن طريق التشيع لآل البيت فالمذهب الزيدي في جملته ينحو فيما يتعلق بالأسماء والصفات ونحو المعتزلة حيث إن زيد بن علي تتلمذ علي يد واصل بن عطاء مؤسس مذهب الاعتزال في الأسماء والصفات(١).وفيما يتعلق بالمسائل الإيمانية مخالف للمرجئة الذين يرون الإيمان مجرد التصديق بالقلب (٢)، كما أن المذهب الزيدي يحمل طابع التشدد في الدين في بعض القضايا، ويشترك الزيدية مع الشيعة في قولهم في الآذان: (حي علي خير العمل). والتكبير خمس مرات في صلاة الجنازة، ورفض المسح علي الخفين ورفض الصلاة خلف الفاجر، وعدم أكل ذبائح غير المسلمين (٣). هذا هو مذهب جمهور الزيدية، وقد شذ منهم بعض الفرق التي ضلت بسبب غلوها المفرط في التشيع وذلك مثل الجارودية وهم أتباع أبي الجارود بن المنذري العبدي، فقد خالفوا منهج الزيدية وضللوا الصحابة في اختيارهم غير الإمام علي رضي الله عنه ويرفضون إمامة أبي بكر رضي الله عنه وهم يعتبرون عند جمهور الزيدية، رافضة غلاة متطرفين. (١) انظر كتاب: الملل والنحل، للشهرستاني، ح١ ص١٢٠، ١٢٤، ١٦٦، (طبعة القاهرة ١٣٤٧هـ).(٢) انظر: دائرة المعارف الإسلامية، ج١١ ص١٥. (٣) انظر: تاريخ الطبري، ج٤ ص٢٦٤، وانظر: الفصل في الملل والنحل، لابن حزم وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني، ج١ ص٢٠٧ – ٢١٨ ـ٢٦٩ .

أولي رعاية للأصلح" [١] .

ولا يفسقون من ينكر الإمامة." وحكي السيد الهادي في ذلك الكتاب عن الإمام المهدي علي بن محمد بن علي والد صلاح الدين: أنه سئل عمن تقدم علي أمير المؤمنين أو خالفه؟ فأجاب بأن مذهب جمهور الزيدية أن النص وقع علي وجه يحتاج في معرفة المراد به نظر وتأمل، ولا يكفِّرون من دافعه، ولا يفسقونه" [٢] .

وقال عز الدين بن الحسن أيضـًا: "قال الإمام المهدي عليه السلام: اعلم أن شيوخنا المتكلمين من المعتزلة ـ رحمهم الله تعالي ـ إنما قالوا: إن الخروج علي الإمام علي جهة البغي، ونفي إمامته، والطعن فيه والقعود عن نصرته، مع الإمكان من غير عذر سواء في الحكم أو لا وأن كلا الأمرين فسق لا فرق بينهما، وزعمت الإمامية أن مخالفة الإمام المفترض الطاعة، والجهل بأمره، وموالاة عدوه كفر، وفيهم من يقول: إنه فسق، وإن لم يكن كفراً، وربما يسمى من هذا سبيله مسلمـًا، ولا نسميه مؤمنـًا، وفي الزيدية من يقول بتفسيق من لم يعرف إمامة الإمام، ويجري جهله بإمامته مجرى الخروج عليه، والعداوة له، والذي عليه التحصيل من الزيدية أن الخروج علي إمام الحق فسق، فأما الجهل بإمامته إذ ادَّعى الإمامة لغيره، أو الجلوس مجلس الإمام في غير وقت إمام يحرم مخالفته، أو في وقت إمام منصوص عليه لكنه لم يقم بالأمر كعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أيام الشيخين فلا دلالة علي كون ذلك فسقـًا" [٣] .

لكن الضابط العام الذي يجمع الشيعة حول الإمامة والأئمة ـ عدا جمهور الزيدية ـ أن الإمامة ركن الدين، وأن الإمام منصوص عليه إما تصريحـًا كما تقول الإمامية وإما تلميحا كما تقول

---

(١) العناية التامة في تحقيق مسألة الإمامة، الإمام عز الدين بن الحسن، ج١ ص٦٣، مرجع سابق .

(٢) إرشاد الغبي إلي مذهب أهل البيت في صحب النبي ﷺ، الإمام محمد بن علي الشوكاني، ج١ ص٥ .

(٣) العناية التامة في تحقيق مسألة الإمامة، الإمام: عز الدين بن الحسن، ط: بدون، ج١ ص ٢٠٠، والتحميل من مكتبة أنا زيدي من الشبكة الدولية.

الزيدية، وأنه معصوم بحجة أنه منصب رفيع إذ يحل القائم بها محل رسول الله في حراسة الدين وسياسة الدنيا وهذه هي القضية التي سنناقشها بين أهل السنة والشيعة وهي نظرتهم للإمامة، والإمام هل الإمامة ركن الدين، ومنصوص علي الإمام، وهل لابد للإمام أن يكون معصومـًا؟

المطلب الثاني

كيفية انتقال الإمامة عند الشيعة

الإمامة عند الشيعة لا تكون إلا بالنص من الله علي لسان نبيه ثم علي لسان الإمام للإمام بعده، وليست هي بالاختيار والانتخاب من قبل الناس، فتنتقل الإمامة عند الشيعة عن طريق النص.

ولقد عقد المجلسى بابا في كتابه البحار بعنوان" (باب) "إن الإمامة لا تكون إلا بالنص، ويجب علي الإمام النص علي من بعده" [١] ثم استدل علي ذلك بتأويل بعض الآيات، والحكايات التي لا أول لها ولا آخر وتعيي من يريد أن يتتبعها .

من أين جاء اللبس؟ :

جاء اللبس من وجهة نظري من فكرة تشبيه الإمام بالنبي ﷺ حيث يقوم الإمام بخلافته في الناس، فلا بد أن يتشبه به من العصمة، والإلهام لأنه منصب خطير يقتضى هذا الأمر، إذ لابد أن يكون لكل عصر إمام يهدى الناس، يخلف النبي في وظائفه ومسؤولياته، ويتمكن الناس من الرجوع إليه في أمور دينهم ودنياهم، بغية إرشادهم إلي ما فيه خيرهم، والإمام طبقا لهذا واجب العصمة واجب الطاعة" قال الإمام المهدي عليه السلام: وكافيك أن الإمام قائم مقام الرسول ـ صلي الله عليه وآله وسلم ـ في موارده ومصادره، ومن حق من يخلف رجلاً في أعماله أن يكون أقرب الناس شبهـًا به في تأدية تلك الأعمال، وإلا عاد الغرض في استخلافه مكانه ليقوم مقامه بالنقص والإبطال، وكلما كَمُلَ فضل رجلٍ قَرُبَ شبهه بالرسول ـ صلي الله عليه وآله وسلم ـ ويبعد عن الشبه بنقصان

---

(١) بحار الأنوار، الشيخ/ محمد باقر المجلسي، ط: مؤسسة الوفاء، بيروت،ج٢٢ ص٦٦، مرجع سابق .

الفضل، "(١). "وقياسهم الإمامة بالنبوة باطلٌ وإلا لما كان فرقٌ إلا في التسمية، وقول الإمامية إلا الوحي فهذا المستثنى هو الموجب للعصمة التي بمعنى عدم الخطأ والنسيان، ولأن وظيفة الإمام لا تستلزم العصمة ووظيفته هي إقامة الحدود وإصلاح الحالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وإعداد الجيش لحفظ البلاد وغير ذلك من إقامة الكتاب والسنة النبوية علي صاحبها وآله أفضل الصلاة والسلام" (٢).

قال علي رضي الله عنه: إنه ليس علي الإمام إلا ما حُمّل من أمر ربه؛ الإبلاغ في الموعظة، والاجتهاد في النصيحة، والإحياء للسنة، وإقامة الحدود علي مستحقيها وإصدار السهمان علي أهلها، وقال رضي الله عنه: فاعلم أن أفضل عباد الله عند الله إمامٌ عادلٌ هُدِي وهَدى، فأقام سنةً معلومةً وأمات بدعةً مجهولةً (٣).

الخطأ المنهجي:

من الخطأ المنهجي في البحث وهو أن يعتقد الإنسان فكرة من تحسين العقل ثم يستدل عليها فيعتقد ثم ينتهج فهذا يؤدى إلي بحثه عما يؤيد فكرته وربما يلجأ إلي التأويل، أو الإنكار، أو حتى اختراع دليل يؤيد فكرته، ولكن المنهج الصحيح أن يدور الإنسان مع الدليل حيث دار، وما يتولد عن الدليل هو الذي يعتقده الإنسان، فلا نحكم الدليل بالفكرة، وإنما يحكمنا الدليل بالفكرة، وهنا يكون اتساق وإخاء بين الفكرة والدليل.

(١) العناية التامة في تحقيق مسألة الإمامة، الإمام/ عز الدين بن الحسن، ج١ ص٦٣، مرجع سابق .

(٢) مع الإمامية في الإمامة والعصمة، عبد الله بن الحسين بن محمد الكبسي الملقب بالديلمي، ج١ ص٢٨، مرجع سابق.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٦٢، ص٣٣١ .

المطلب الثالث

الأدلة على فكرة الإمامة وصفات الإمام عند الشيعة

تتركز أدلة الشيعة حول الإمامة، وأنها ركن الدين، وأن الإمام منصوص عليه ومتصف بالعصمة وهذه الثلاثية هي التي سوف نبين فيها رؤية الشيعة، وأدلتهم والرد عليها، وأدلتهم تنقسم إلي قسمين أدلة مباشرة، وأدلة عامة مجملة، وسوف أرد علي بعض كلا النوعين من الأدلة بما ثبت وصح.

وقد حدد ابن حزم المنهج الذي سألتزمه في الرد علي الشيعة فقال: "لَا معنى لاحتجاجنا عَلَيْهِم برواياتنا فهم لَا يصدقونا، وَلَا معنى لاحتجاجهم علينا برواياتهم فَنحْن لَا نصدقها، وَإِنَّمَا يجب أَن يحْتَج الْخُصُوم بَعضهم علي بعض بِمَا يصدقهُ الَّذِي تُقَام عَلَيْهِ الْحجَّة بِهِ سَوَاء صدقه المحتج أَو لم يصدقهُ " (١) .

منهج علمي ينبغي الالتزام به :

ينبغي أن يحكم الإنسان في استدلاله ببعض القواعد وأهمها لا تأويل إلا بدليل، ولا نسخ إلا ببرهان، وإلا فتح الباب لكل صاحب فكرة، فيقوم بتأويل القرآن ليؤيد فكرته، أو ينكر السنة، أو حتى يأتي من بنات أفكاره ما يؤيد فكرته .

أولاً : دعوى الإمامة ركن الدين وأدلتهم :

هناك مبالغة كبيرة في شأن الإمامة تخرجها عن الواقعية من كونها ركن الدين، ورفعوا الأئمة إلي مرتبة تفوق مرتبة الأنبياء والملائكة قال الخميني" من ضروريات مذهبنا أنه لا يصل أحد إلي مراتب الأئمة المعنوية حتى الملك المقرب، والنبي المرسل" (٢) .

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، ط: مكتبة الخانجي، القاهرة، ج٤ ص ٧٨ .

(٢) الحكومة الإسلامية، للخميني، ج١ ص٥٤ .

ومن ذلك ما رواه المجلسي "عن سلمان قال: سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق الله آدم قسم ذلك النور جزأين فجزء أنا وجزء علي" (١) .

ويستدل الشيعة على أن الإمامة ركن الدين بحديث رواه الكلينى "عن أبي جعفر قال: بني الإسلام علي خمسة أشياء على الصلاة والزكاة والحج، والصوم والولاية" (٢).

ويقول المجلسي "وأي فائدة فيما أجمع عليه الفرقة المحقة من كون الإمامة من أصول الدين ردا على المخالفين القائلين بأنه من فروعه؟ وقد روت العامة والخاصة متواتراً: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية" (٣) .

الرد علي أن الإمامة ركن الدين:

كما ذكر هناك مبالغة كبيرة في الإمامة من كونها ركن الدين "فإن كان الأمر كذلك فإن المرء ليتساءل عن سند هذه العقيدة، فكتاب الإسلام العظيم يذكر فيه مرات الصلاة والصيام، والزكاة والحج، ولا ذكر فيه لشأن الأئمة الاثني عشرية، أو الإمامة من بعد الرسول رغم كون الإمامة ـ كما تقول النظرية الشيعية الرافضية ـ أعظم أركان الدين!، أو ليس من العجيب أن يذكر القرآن تفاصيل طريقة الوضوء، ويُصنف أنواع المحرمات من الطعام والشراب، ويتحدث عن الجهاد تارة، وعن السلم تارة أخرى، ويناقش القضايا الأخلاقية، ثم يتجاهل إمامة الاثني عشر التي يصفها آل كاشف الغطاء بأنها «منصب إلهي كالنبوة»، إن هذه النصوص القرآنية قد شهدت بكل وضوح بأن القرآن الكريم لم يفرط في قضية يحتاج إليها البشر، فكيف يفرط في قضية الإمامة

---

(١) بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، ط: مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ج٣٣ ص٦٩، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات، ج١ ص١٤ .

(٢) الكافي، للكلينى، ج٤ ص٩١ .

(٣) بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ط: مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ج٨ ص٣٦٨ .

النصية التي تذكرها الشيعة الإمامية، ثم يتركها لعلمائهم لكي يصيغوها ويحددوا معالمها، مع كون النص علي الأئمة من الله لا منهم"[١] .

والحديث السابق الذي يستدل به الشيعة علي أن الإمامة ركن الدين معظم رواياته يروونها عن جعفر بن محمد بن علي الملقب بالصادق، "فجميع رواياتهم في هذا إنما يروونها عن جعفر بن محمد بن علي الملقب بالصادق، وليس هو مشرع وليس لقوله حجة إلا في حالة موافقته لكلام الله عز وجل أو كلام رسوله صلي الله عليه وسلم، وإن رواياتهم عن جعفر الصادق مسلسلة بالمجاهيل، وهم يكذبون علي آل البيت وينسبون إليهم ما لم يقولوه" [٢] .

فيرويها الكليني بأسانيد مختلفة مثل ما قاله عن" عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن مثنى الحناط، عن عبد الله بن عجلان، عن أبي جعفر رضي الله عنه .

وقد بحثت عن رجال هذا السند فوجدت سهل بن زياد رجل صالح الحديث، وأحمد بن محمد بن أبي نصر روى حديثا واحدا لم يصح جاء في الميزان" أحمد بن محمد بن أبي نصر روى عن أبان بن عثمان الأحمر، في عرض النبي صلى الله عليه وسلم نفسه علي القبائل. لا يصح .. ثم ذكر الحديث بطوله. ثم قال العقيلي: ليس لهذا أصل" [٣] .

وبحثت عن مثنى الحناط لم أجد له ذكر في كتب الرجال، وكذلك عبد الله بن عجلان.

ولقد بحثت عن هذه الزيادة "والولاية" بطرفي الحديث فلم أجدها في الأحاديث الصحيحة، ولا

---

(١) ثم أبصرت الحقيقة، محمد سالم، ص ١٣٠ ج.

(٢) أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة، سعود بن عبد العزيز الخلف، ١٤٢٠هـ-١٤٢١هـ، ج٢ ص٩٢ .

(٣) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاويط، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولي، ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م، ج١ ص١٢٥ .

الضعيفة، ولا حتى الموضوعة، ويبدوا أن وضع هذه اللفظة كان حديثا لأنه لم يتعرض لها علماء الجرح والتعديل بأي صورة ولو بالوضع.

ودعوى الرافضة بأن الإمامة ركن من أركان الدين باطلة وكذب فلم يرد عن الله ولا عن رسوله ﷺ ذكر ذلك، وهذا مخالف لما ورد في الحديث الصحيح "عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ "بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلي خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ" [(١)] .

أما حديث" " من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية "، قال الألباني: لا أصل له بهذا اللفظ...، وهذا الحديث رأيته في بعض كتب الشيعة، ثم في بعض كتب القاديانية يستدلون به علي وجوب الإيمان بدجالهم ميرزا غلام أحمد المتنبي، ولو صح هذا الحديث لما كان فيه أدنى إشارة إلي ما زعموا، وغاية ما فيه وجوب اتخاذ المسلمين إماما يبايعونه، وهذا حق كما دل عليه حديث مسلم وغيره "[(٢)]. وهو: "مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً" [(٣)] .

ثانياً: دعوى النص علي إمامة علي وأدلتهم:

هناك أدلة مباشرة عند الشيعة يستدلون بها علي النص علي "علي" رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأخرى عامة يفهمون منها ولاية علي، ومن هذه النصوص المباشرة ما ذكره شيخ الطائفة عند تفسيره لقوله تعالي: ﴿

(١) رواه البخاري، باب: قول النبي بني الإسلام علي خمس، ج٢ ص٦٧٢.

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، ط: دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولي، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢م، ج١ ص٥٢٥ .

(٣) رواه مسلم، باب: الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن، ج٢ ص١٤٧٨ .

﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ (١) قال: "والقصة بذلك مشهورة فانه روي أنه أمر صلي الله عليه وآله عليـًا بأن يصنع طعاما ثم دعا عليه بني عبد مناف وأطعمهم الطعام. ثم قال لهم: أيكم يؤازرني علي هذا الأمر يكن وزيري وأخي ووصيي، فلم يجبه أحد إلا علي قال: والقصة في ذلك معروفة" (٢) .

رد دعوى النصية علي (علي ابن أبى طالب) :

ذكر ابن كثير هذا الحديث الذي مفاده أن النبي أوصى لعلي بالإمامة عند تفسيره لسورة الشعراء وقال: "تَفَرَّدَ بِهَذَا السِّيَاقِ عَبْدُ الْغَفَّارِ بْنُ الْقَاسِمِ أَبِي مَرْيَمَ، وَهُوَ مَتْرُوكٌ كَذَّابٌ شِيعِيٌّ، اتَّهَمَهُ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ وَغَيْرُهُ بِوَضْعِ الْحَدِيثِ، وَضَعَّفَهُ الْأَئِمَّةُ رَحِمَهُمُ اللهُ" (٣) .

وهناك عدة أدلة عقلية وواقعية تدل علي عدم النص منها :

- لو كانت هناك وصية لما تخلف أحد من الصحابة عنها، ولما عبرت الأنصار عن رأيها ـ في السقيفة ـ بحرية وقد تطلع إلي الخلافة سعد بن عبادة رضي الله عنه من الأنصار في السقيفة، ولم يتعرض له أحد بأذى فلماذا يختص علي بالأذى من دون الناس .

"فلو كان هناك نص لظهر يوم السقيفة، ولما اجْتَمَعَ صَحْبُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ السَّقِيفَةِ لِتَقْدِيمِ زَعِيمٍ، وَتَعْيِينِ خَلِيفَةٍ، وَتَفَرَّقَتِ الْآرَاءُ، وَتَشَتَّتِ الْأَهْوَاءُ، وَكَشَّرَتْ عَنْ أَنْيَابِهَا الدَّاهِيَةُ الدَّهْيَاءُ، وَغَشِيَ الْمُسْلِمِينَ الْمُعْضِلَةُ الزَّبَّاءُ، فَلَوْ كَـانَ اسْتَفَاضَ فِيهِمْ نَصْبُهُ عَلِيًّا ـ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـ وَكَانَ ـ لَعَمْرُ اللهِ ـ مُسْتَصْلِحًا لِمَنْصِبِ الْإِمَامَةِ مُرْضِيًا، لَقَالَ فِي الْقَوْمِ قَائِلٌ: مَا لَكُمْ تَرْتَبِكُونَ فِي الظُّلُمَاتِ؟

---

(١) سورة الشعراء، الآية (٢١٤) .

(٢) التبيان في تفسير القرآن شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق وتصحيح : أحمد حبيب قصير العاملي، ج٨ ص٦٢ .

(٣) تفسير القرآن العظيم، (ابن كثير): أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ج٦ ص١٥٣ .

وَتَشْتَبِكُونَ فِي الْوَرَطَاتِ، وَتَتَرَدَّدُونَ فِي الْخَفْضِ وَالرَّفْعِ، وَالتَّفْرِيقِ وَالْجَمْعِ، وَتَتْرُكُونَ نَصَّ صَاحِبِ الشَّرْعِ فَاسْتَبَانَ بِارْتِجَالِ الْأَذْهَانِ أَنَّ النَّصَّ لَوْ كَانَ، لَاسْتَحَالَ فِيهِ الْخَفَاءُ وَالْكِتْمَانُ" (١) .

- أوجبوا النص منعا للاختلاف فلم يقع اختلاف إلا قبل وبعد ولاية علي.

قال ابن تيمية "إِنَّكُم أوجبتم النَّص قطعا للتشاجر المفضي إِلي الْفساد الْكَبِير فَوَقع الْأَمر بِالْعَكْسِ فَإِن أَبَا بكر تولي ثمَّ عمر ثمَّ عُثْمَان مَعَ انتفاء الْفساد والتشاجر وَوَقع بعضه فِي آخر أَيَّام عُثْمَان وَإِنَّمَا اشْتَدَّ وَعظم فِي أَيَّام من ادعيتم لَهُ النَّص والعصمة فَمَا أصلتموه حصل مَعَه نقيض الْمَقْصُود وَحصل الْمَقْصُود بِدُونِ وسيلتكم" (٢) .

- باستقراء التاريخ لا نجد ذكرًا للوصية في خلافة أبي بكر، ولا في خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وإنما نجد بداية ظهورها في السنوات الأخيرة من خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند بزوغ الفتنة .

- لو كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عهد إلي سيدنا علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأخبر بذلك ولما بايع الخلفاء قبله ولما صاهرهم وقد زوج علي ابنته "أم كلثوم" لعمر (٣) ولما سمى أبناءه بأسماء الخلفاء من قبله فكيف ينص عل إمامته "وَالظَّاهِر من فعله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بيعَة أبي بكر وَعمر وَعُثْمَان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَالصَّلَاة خَلفهم وَأخذ الْعَطاء مِنْهُم وَالرَّدّ للْخلاف عَلَيْهِم وَالْقَوْل بفضلهم والمشورة عَلَيْهِم فِي أمرهم

---

(١) غياث الأمم في التياث الظلم، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨ هـ)، المحقق: عبد العظيم الديب، ط: مكتبة إمام الحرمين، الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ، ج١ ص٢٧ وما بعدها .

(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب، ج١ ص٤١٤ .

(٣) قالوا في تخريج هذه الرواية:أن عليا"أرسل أمير المؤمنين إلي جنية من أهل نجران يهودية يقال لها: سخيفة بنت جريرية، فأمرها، فتمثلت في مثال أم كلثوم وحجبت الأبصار عن أم كلثوم، وبعث بها إلي الرجل، فلم تزل عنده".الإمامة، عبد النبي سعد الدين، ص١٦٨ ؟

ومشاركتهم فِيمَا هم فِيهِ وتصويب رَأْيهمْ فَإِن قَالُوا فعل ذَلِك علي تقية مِنْهُ وَخَوف من الْقَتْل وَهَكَذَا يَقُولُونَ وَرُبمَا قَالُوا فعل ذَلِك خوفًا علي الْأمة أَن تقع فِي اخْتِلَاف يُقَال لَهُم قد نقضتم أصلكم إِن الله أَقَامَ عليا ليظْهر بِهِ الدّين وَكَيف يكون ذَلِك كَذَلِك وعَلي كاتم دينه، ومتق علي نَفسه، وعَلي الْأمة لم يظْهر الله حجَّته فِي أَيَّام أبي بكر وَعمر وَعُثْمَان وَلَا فِي أَيَّام خِلَافَته فَكيف يكون هَذَا حجَّة وَلم يظْهر بِهِ حجَّة أصلا فَإِن قَالُوا أظهر ذَلِك فِي خُفْيَة عِنْد خاصته وَفِي مَعَاني كَلَامه من حَيْثُ لَا يفهم كل النَّاس يُقَال لَهُم ادعيتم مَجْهُولا وقلتم مُنْكرا من القَوْل وزورا مَا كَانَ عَليّ رَضِيَ الله عَنْهُ عَاجِزا وَلَا جَبَانًا وَلَا واهنا وَلَا كتوما وَلَا خائنا وَلَا جَاهِلاً" (١) .

فلو كان سيدنا عليّ قد عُيِّنَ من قِبَل الله تعالي ورسوله للخلافة لوجب عليه أن يخالف وينازع أبا بكر حتى الموت ولا يسمح له بحال أن يرقى منبر رسول الله ﷺ.

جاء علي لسانه في نهج البلاغة قال" أيّها النّاس إنّكم بايعتموني علي ما بويع عليه من كان من قبلي، وإنّما الخيار للناس قبل أن يبايعوا، فإذا بايعـوا فلا خيار لهم " وقال: "وَاَللهِ مَا كَانَتْ لِي فِي اَلْخِلاَفَةِ رَغْبَةٌ وَلاَ فِي اَلْوِلاَيَةِ إِرْبَةٌ وَلَكِنَّكُـمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا وَ حَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا" (٢) .

- إن كان يميز أمير المؤمنين زواجه من ابنة النبي ﷺ فلقد تزوج عثمان ابنتيه، وإن كان يميزه أنه ابن عم رسول الله فضلا عن علمه وسابقته في الإسلام فابن عباس يوازيه في هذه المرتبة.
- يكفي في الرد على زعمهم ما ورد بالنقل الصحيح عن عدد من الصحابة رَضِيَ الله عَنْهُم، ومنهم

(١) انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع: محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين المَلَطي العسقلاني (المتوفى: ٣٧٧هـ)، المحقق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، ط: المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ج١ ص٢٥، وما بعدها.

(٢) نهج السعادة في شرح نهج البلاغة، خطبة ٣٦: الشيخ المحمود، ج١ ص١٧٠ .

علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نفسه خلاف ذلك، والأدلة كثيرة منها:

عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الأَسْوَدِ، قَالَ: ذَكَرُوا عِنْدَ عَائِشَةَ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كانَ وَصِيًّا، فَقَالَتْ: ﴿مَتى أَوْصَى إِلَيْهِ، وَقَدْ كُنْتُ مُسْنِدَتَهُ إِلي صَدْرِي؟ - أَوْ قَالَتْ: حَجْرِي - فَدَعَا بِالطَّسْتِ، فَلَقَدْ أنخنث فِي حَجْرِي، فَمَا شَعَرْتُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، فَمَتَى أَوْصَى إِلَيْهِ﴾ (١).

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

وروى مسلم بسنده" عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، قَالَ: سُئِلَ عَلِيٌّ، أَخَصَّكُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَيْءٍ؟ فَقَالَ: مَا خَصَّنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَيْءٍ لَمْ يَعُمَّ بِهِ النَّاسَ كَافَّةً، إِلَّا مَا كَانَ فِي قِرَابِ سَيْفِي هَذَا، قَالَ: فَأَخْرَجَ صَحِيفَةً مَكْتُوبٌ فِيهَا: ﴿لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ سَرَقَ مَنَارَ الْأَرْضِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا﴾ (٢).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿فيه إبطال ما تزعمه الرافضة والشيعة والإمامية بالوصية لعلي وغير ذلك من اختراعاتهم﴾ (٣).

وعَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: ﴿أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الأَنْصَارِيُّ، وَكَانَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أَحَدَ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ تِيبَ عَلَيْهِمْ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ، أَخْبَرَهُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خَرَجَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَقَالَ النَّاسُ: يَا أَبَا حَسَنٍ، "كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟، فَقَالَ: أَصْبَحَ بِحَمْدِ اللهِ بَارِئًا، فَأَخَذَ بِيَدِهِ عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ وَاللهِ بَعْدَ ثَلَاثٍ عَبْدُ العَصَا، وَإِنِّي وَاللهِ لَأَرَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَوْفَ يُتَوَفى مِنْ وَجَعِهِ هَذَا، إِنِّي لَأَعْرِفُ وُجُوهَ

---

(١) رواه البخاري، باب: الوصايا، ج٤ ص٣، مرجع سابق.

(٢) رواه مسلم، ط:دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٣ ص١٥٦٧.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، باب:تحريم الذبح لغير الله، ط:دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج١٣ ص١٤٢.

بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ عِنْدَ المَوْتِ، اذْهَبْ بِنَا إِلي رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلْنَسْأَلْهُ فِيمَنْ هَذَا الأَمْرُ، إِنْ كَانَ فِينَا عَلِمْنَا ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِنَا عَلِمْنَاهُ، فَأَوْصَى بِنَا، فَقَالَ عَلِيٌّ: إِنَّا وَاللهِ لَئِنْ سَأَلْنَاهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَمَنَعَنَاهَا لاَ يُعْطِينَاهَا النَّاسُ بَعْدَهُ، وَإِنِّي وَاللهِ لاَ أَسْأَلُهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ ﴾ (١) .

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قِيلَ لِعُمَرَ أَلاَ تَسْتَخْلِفُ؟ قَالَ: ﴿ إِنْ أَسْتَخْلِفْ فَقَدِ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي أَبُو بَكْرٍ، وَإِنْ أَتْرُكْ فَقَدْ تَرَكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَثْنَوْا عَلَيْهِ فَقَالَ: رَاغِبٌ رَاهِبٌ، وَدِدْتُ أَنِّي نَجَوْتُ مِنْهَا كَفَافًا، لاَ لِي وَلاَ عَلَيَّ، لاَ أَتَحَمَّلُهَا حَيًّا وَلاَ مَيِّتًا ﴾ (٢) وهذا دليل علي ترك النبي الاستخلاف.

وقد بايع علي لأبى بكر رضي الله عنهما روى البيهقي بسنده قال: ﴿ فَلَمَّا قَعَدَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه علي الْمِنْبَرِ نَظَرَ فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ فَلَمْ يَرَ عَلِيًّا رضي الله عنه، فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقَامَ نَاسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَتَوْا بِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَخَتَنَهُ، أَرَدْتَ أَنْ تَشُقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ؟ فَقَالَ: لَا تَثْرِيبَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ فبايعه ﴾ (٣) ثم جدد له البيعة بعد موت فاطمة رضي الله عنها كما يقول ابن كثير "فَلَمَّا مَاتَتْ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ وَفَاةِ أَبِيهَا ﷺ رَأي عَلِيٌّ أَنْ يُجَدِّدَ الْبَيْعَةَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه" (٤) و" البيعة تقطع مادة الاختلاف، والدليل عليه عدم الاختلاف في زمان الخلفاء رضي الله عنهم، وقد تولوا بالبيعة، ـ وهذا يبطل ـ معتقد الإمامية أن "علي" تولي بالنص" (٥) .

---

(١) رواه البخاري، باب:مرض النبي ووفاته، بيروت، ج٦ص١٢، مرجع سابق .

(٢) رواه البخاري، ط: دار طوق النجاة، باب: الاستخلاف، ج٩ ص٨١ .

(٣) رواه البيهقي في الكبرى، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، باب: الأئمة من قريش، ج٨ ص٢٤٦ .

(٤) البداية والنهاية، لابن كثير، ط:دار إحياء التراث العربي، ج٥ ص٢٧٠.

(٥) الاقتصاد في الاعتقاد، ج١ ص١٢٧، مرجع سابق .

ومن ذلك ثناؤه علي الخلفاء قبله فعَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الحَنَفِيَّةِ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: «أَبُو بَكْرٍ»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ»، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: ﴿ مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ ﴾ (١) .

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: إِنِّي لَوَاقِفٌ فِي قَوْمٍ، فَدَعَوُا اللهَ لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، وَقَدْ وُضِعَ عَلي سَرِيرِهِ، إِذَا رَجُلٌ مِنْ خَلْفِي قَدْ وَضَعَ مِرْفَقَهُ عَلي مَنْكِبِي، يَقُولُ: رَحِمَكَ اللهُ، إِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ، لِأَنِّي كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ﴿ كُنْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَفَعَلْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَانْطَلَقْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ» فَإِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَهُمَا، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﴾ (٢) .

ولو كان هناك تلميح بنص فهو في أبى بكر كما دلت عليه السنة روى البخاري بسنده عن مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرٍ، أَنَّ أَبَاهُ جُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَكَلَّمَتْهُ فِي شَيْءٍ، فَأَمَرَهَا بِأَمْرٍ، فَقَالَتْ: أَرَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ لَمْ أَجِدْكَ؟ قَالَ: ﴿ إِنْ لَمْ تَجِدِينِي، فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ» زَادَ لَنَا الحُمَيْدِيُّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ كَأَنَّهَا تَعْنِي المَوْتَ ﴾ (٣) .

و﴿ عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: مَرِضَ النَّبِيُّ ﷺ، فَاشْتَدَّ مَرَضُهُ، فَقَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ» قَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّهُ رَجُلٌ رَقِيقٌ، إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، قَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ» فَعَادَتْ، فَقَالَ: «مُرِي أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ» فَأَتَاهُ الرَّسُولُ، فَصَلي بِالنَّاسِ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ ﴾ (٤) .

---

(١) رواه البخاري، باب: قول النبي لو كنت متخذا خليلاً، ج٥ ص٧، مرجع سابق .

(٢) رواه البخاري، باب: قول النبي: لو كنت متخذا خليلاً، ج٥ ص٩، مرجع سابق .

(٣) رواه البخاري، باب: الأحكام التي تعرف بالدلائل، ج٩ ص١١٠، مرجع سابق .

(٤) رواه البخاري، باب: أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، ج١ ص١٣٦، مرجع سابق .

يقول شيخ الإسلام: "وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَلَّ الْمُسْلِمِينَ عَلي اسْتِخْلَافِ أَبِي بَكْرٍ، وَأَرْشَدَهُمْ إِلَيْهِ بِأُمُورٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَأَخْبَرَ بِخِلَافَتِهِ إِخْبَارَ رَاضٍ بِذَلِكَ حَامِدٍ لَهُ، وَعَزَمَ عَلي أَنْ يَكْتُبَ بِذَلِكَ عَهْدًا، ثُمَّ عَلِمَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ فَتَرَكَ الْكِتَابَ اكْتِفَاءً بِذَلِكَ"(١) وبذا كان النبي ﷺ من الحنكة والذكاء علي أنه لم ينص مباشرة علي أبى بكر ولكن استخلفه للصلاة وعلم أن الصحابة سيقتفون أثره، وقد كان النبي موفقا في تلميحه لأبى بكر فهذا الرجل الذي لم تتجاوز خلافته السنتين الرقيق صاحب العبرة ترتد الجزيرة بعد وفاة النبي فإذا بالرجل البكاء أسدا هصورا يعيد الناس إلي الإسلام بل وتمتد ذراعه خارج الجزيرة فيرسل الجيوش لفارس والروم ليبسط الإسلام خارج الجزيرة أيضـًا.

"فَلْينْظر النَّاظر إِلي مرتبَة الْفَرِيقَيْنِ إِذا نسيت الباطنية أَنْفسهَا إِلي أَن نصب الإِمَام عِنْدهم من الله تَعَالي، وَعند خصومهم من الْعباد ثمَّ لم يقدروا علي بَيَان وَجه نِسْبَة ذَلِك إِلي الله تَعَالي إِلَّا بِدَعْوَى الاختراع علي رَسُوله فِي النَّص علي "علي" وَدَعوى بَقَاء ذَلِك فِي ذُرِّيَّته" (٢) .

رابعاً : دعوى عصمة الأئمة :

من أين جاءت فكرة عصمة الإمام :

قداسة الحاكم والحكم بالحق الإلهي فكرة قديمة استخدمها الحكام والهدف منها عبودية الإنسان للإنسان وقد وجدت في المجتمعات القديمة فصدرت فكرتها الساسة للشعوب ليستعبدوهم (وفي نموذج الصين القديمة كانت السياسة تقوم علي أساس الإمبراطور يستمد سلطته من السماء فالملك ابن السماء يحكم بالحق الإلهي ويخوله سلطة مطلقة والنموذج الفارسي كان يقوم علي اختفاء حقوق المحكوم فالحاكم إله سياسي والمحكوم لا وجود له) (٣)

---

(١) منهاج السنة، ابن تيمية، ج١ ص٥١٦، مرجع سابق .

(٢) فضائح الباطنية، أبو حامد الغزالي، ج١ ص١٧٨، مرجع سابق .

(٣) انظر: النظام السياسي في الإسلام، د/ نعمان عبد الرزاق السامرئى، ط:بدون، ١٤٢١هـ، ص٢٥ وما بعدها.

وهذا ما جعل ربعي ابن عامر يقول لرستم قائد الفرس:" اللهُ ابْتَعَثَنَا، وَجَاءَ بِنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلي عِبَادَةِ اللهِ، وَمِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إِلي سِعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الأَدْيَانِ إِلي عَدْلِ الإِسْلامِ" (١).

فالعقل الفارسي كان مهيئًا لقبول عصمة الإمام بعد دخوله في الإسلام حيث كانوا يقدسون حكامهم، ومن هنا جاءت فكرة الإمامة متأثرين بالإرث الفارسي في تقديس الحاكم فاستصحبوا ذلك بعد دخولهم في الإسلام بعدما أحياها في نفوسهم ابن سبأ .

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

وهي فكرة قميئة ثار عليها الناس في العصور الوسطى حيث كان الحكام يستغلون هذه الفكرة كنوع من حماية عروشهم وضمان طاعة الناس لهم بل إن فرعون لم يكتف أنه ابن السماء وإنما قال أنه هو الله نفسه وهناك عامل كبير علي الناس الذين يصدقون هذا الكلام بدون تفكير لذا كان علي عوام الشيعة أن يفكروا في هذه المقولة فلا يوجد في الناس من هو معصوم أو ينطق بالحق الإلهي وأن العصمة دفنت مع النبي ﷺ .

أدلة الشيعة على فكرة العصمة:

ودافع الشيعة دفاعا مريرا ليثبتوا أن عليا متميز عن غيره من الصحابة، واستدلوا علي ذلك بالحجج والبراهين، وسوف أكتفي بذكر بعضها والرد عليه ففيه غنية عن بقية الأدلة فهي تشبه بعضها بعضا، ولو استطعنا أن نبطل بعضها سقط الباقي من تلقاء نفسه، فهو يحكى نفس الموضوع لكن قبل الحديث عن العصمة ينبغي تعريفها عند الشيعة .

معنى العصمة عند الشيعة:

قال صاحب البحار في معنى العصمة:" اعلم أن الإمامية ـ والإسماعيلية رضي الله عنهم اتفقوا علي عصمة

(١) تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، ط: دار التراث، بيروت، لطبعة: الثانية، ١٣٨٧هـ، ج٣ ص٥٣٠ .المنقذ من الضلال: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) ط: دار الكتب الحديثة، مصر ج١ ص ١١٥.

الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من الذنوب صغيرها وكبيرها، فلا يقع منهم ذنب أصلا لا عمدا، ولا نسيانا، ولا لخطأ في التأويل، ولا للإسهاء من الله سبحانه ولم يخالف فيه إلا الصدوق محمد بن بابويه [١] وشيخه ابن الوليد رحمة الله عليهما، فإنهما جوزا الإسهاء من الله تعالي لمصلحة في غير ما يتعلق بالتبليغ وبيان الأحكام، لا السهو الذي يكون من الشيطان وقالوا والإمام لو لم يكن معصوما لم يكن لطفا" [٢] .

أدلة الشيعة على دعوى العصمة :

١ ـ واستدلوا عليها بقوله تعالي: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [٣] فقالوا :فالرجس في هذه الآية عبارة عن: الذنوب،.. وقد تصدّرت الآية بأداة الحصر: "إنّما"، فأفادت أنّ إرادة الله تعالي في أمرهم مقصورة علي إذهاب الذنوب عنهم وتطهيرهم منها، وهذا هو كنه العصمة وحقيقتها"[٤] .

٢ ـ واستدلوا كذلك بقوله تعالي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ

---

(١) محمد بن بابويه (٣٨١ هـ - ٩٩١ هـ)، محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمى، الشيعي (أبو جعفر) مفسر، فقيه، أصولي، محدث، حافظ، عارف بالرجال من أهل خراسان.ورد بغداد، وتوفي بالري.من تصانيفه الكثيرة (١) الجمعة والجماعة، الجنة والنار، المواعظ والحكم، غريب حديث النبي وأمير المؤمنين، ومن لا يحضره الفقيه. معجم المؤلفين: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، ط: مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت ج١١ ص٣

(٢) بحار الأنوار، العلامة الحجة فخر الأمة المولي الشيخ محمد باقر المجلسي "قدس الله سره"، ط: مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ج٢٥ ص٢٠٩ .

(٣) سورة الأحزاب، الآية (٣٣) .

(٤) تصحيح القراءة في نهج البلاغة، الشيخ/ خالد البغدادي، سلسلة الكتب المؤلفة في أهل البيت &، إعداد: مركز الأبحاث العقائدية، ج١ ص٢١ .

﴿مِنكُمۡ﴾(١).

قال الطبرسي وقوله «وأولي الأمر منكم» للمفسرين فيه قولان أحدهما: أنهم الأمراء .. و الآخر أنهم العلماء ..وأما أصحابنا فإنهم رووا عن الباقر والصادق "عَلَيْهِمَا السَّلَامُ" أن أولي الأمر هم الأئمة من آل محمد أوجب الله طاعتهم بالإطلاق كما أوجب طاعته وطاعة رسوله ولا يجوز أن يوجب الله طاعة أحد علي الإطلاق إلا من ثبتت عصمته وعلم أن باطنه كظاهره وأمن منه الغلط"(٢).

فكل واجب الطاعة واجب العصمة، وإلا فلو لم يكن واجب العصمة لجاز أن يكذب في أوامر الله، ونواهيه.

٣ ـ ويستدلون علي العصمة أيضا بقوله تعالي الله: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّالِمِينَ ١٢٤﴾(٣).

فدلت الآية الكريمة علي أن عهد الإمامة لا يصل إلي من كان ظالمًا، وكل من ارتكب ذنبًا فهو ظالم، انظر إلي قوله تعالي: ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٌ لِّنَفۡسِهِۦ﴾(٤).

قال الطبرسى: "واستدل أصحابنا بهذه الآية علي أن الإمام لا يكون إلا معصومـًا عن القبائح لأن الله سبحانه نفي أن ينال عهده "الذي هو الإمامة" ظالم، ومن ليس بمعصوم فقد يكون ظالما إما

---

(١) سورة النساء، الآية (٥٩).

(٢) تفسير مجمع البيان، أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، ج٢ ص٩٩، من موقع: المجمع العالمي لأهل البيت.

(٣) سورة البقرة، الآية (١٢٤).

(٦) سورة فاطر، من الآية (٣٢).

لنفسه و إما لغيره" [١] .

٤ ـ ومن الأدلة العقلية ما ذكره المجلسي قال: "قد ثبت بالدلالة القاطعة وجوب الإمامة في كل زمان لكونها لطفا في فعل الواجبات والامتناع عن المقبحات" [٢] .

- وقالوا: " والذي ذهب إليه أصحابنا الإمامية وكذا الإسماعيلية هو وجوبها علي الله عقلاً .. حيث إن "الإمامة لطف في حقق العباد يحصل بها الانتظام ويزول الفساد" [٣] .

وهذا هو الدليل العقلي الذي يدندنون حوله وهو الخوف من وقوع الأمة في الاختلاف والفساد، لذا وجب علي الله عقلا عصمة الأئمة لكون ذلك من اللطف بالعباد.

الرد على دعوى العصمة:

والرد علي الدليل الأول: "فالآية لا تقوم دليلا علي عصمة أهل بيته ... وهو علي معنى الشرط أي يريد بنهيكم وأمركم ليذهب عنكم الرجس، ويطهركم إن انتهيتم وائتمرتم .. نحو أسلوب قول القائل لجماعة ـ علم أنهم إذا شربوا الماء أذهب عنهم عطشهم لا محالة ـ يريد الله سبحانه بالماء ليذهب عنكم العطش فإنه علي معنى يريد سبحانه بالماء إذهاب العطش عنكم إن شربتوه، فيكون المراد إذهاب العطش بشرط شرب المخاطبين الماء لا الإذهاب مطلقا" [٤] .

---

(١) تفسير مجمع البيان، أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مصدر الكتاب: المجمع العالمي لأهل البيت، ج١ ص٣٤٣ .

(٢) بحار الأنوار، الشيخ/ محمد باقر المجلسي " قدس الله سره "، ط: مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ج٣٤ ص١٨٦ .

(٣) الإمامة، عبد النبي يسعد الدين، ص ٢٨ .

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠ هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ج١١ ص١٩٩ .

"ولو كانت إفادة معنى العصمة مقصودة لقيل هكذا: إن الله أذهب عنكم الرجس أهل البيت" (١).

والآية أصلاً نزلت في أزواج النبي ﷺ يقول ابن كثير: والآية "نَصٌّ فِي دُخُولِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ في أهل البيت ههنا، لأنهن سبب نزول هذه الآية، وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً، روى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّهُ كَانَ يُنَادِي فِي السُّوقِ: "إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً" نَزَلَتْ فِي نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ خَاصَّةً، وليس المراد أنهن المراد فقط دون غيرهن"(٢) يقصد فاطمة وعلي والحسنين.

روى البخاري عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ، قَالَتْ: قَالَتْ عَائِشَةُ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ، مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ (٣).

- **أما الدليل الثاني** وهو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ (٤).

فقد أمر بطاعة الله، وطاعة الرسول، ولم يفرد للإمام بطاعة مستقلة لأن طاعته من لا بد وأن تكون موافقة

(١) مختصر التحفة الاثني عشرية، علامة الهند شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي، حققه وعلق حواشيه: محب الدين الخطيب، ط: المطبعة السلفية، القاهرة/ ١٣٧٣هـ، ج١ص ١٥٣ .

(٢) مختصر تفسير ابن كثير، (اختصار وتحقيق): محمد علي الصابونيط، دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان . الطبعة: السابعة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١م، ج٢ص ٩٤ .

(٣) رواه البخاري، باب:فضائل أهل بيت النبي، ج٤ص ١٤٨٣، والآية من سورة الأحزاب رقم: ٣٣ .

(٤) سورة النساء، الآية(٥٩) .

لطاعة الله ورسوله، ولو كان معصوما لجعل له أيضا طاعة، كما أن الآية ترد الأمر عند الاختلاف إلي الكتاب والسنة دون الإمام، فدل علي أن الإمام لا يحتاج منه إلا إلي تطبيق ما أمر الله تعالي " فلم يأمرنا بالرجـوع إلي هؤلاء الأئمة ـ عند الاختلاف ـ الذين تزعم الشيعة أن الأحكام الشرعية تؤخذ منهم، وتستقى من نمير ماءهم" (١) .

فأوجب عند النزاع الرجوع إلي الله ورسوله، ولم يقل تعالي: فردوه إلي الأئمة المعصومين فقوله تعالي : "فَإِن تَنَازَعْتُمْ " تقييدٌ للطاعة في أنه يجب طاعتهم مطلقًا إلا في الأمور المتنازعة، فيجب الرجوع إلي الكتاب والسنة الجامعة باعتبارهما أدلة، ووجوب طاعتهم هي فيما يقيم الدولة الإسلامية من إقامة الحدود، ورفع الظلم، وإصلاح الحالة الاقتصادية والسياسة، والتعليمية، والعسكرية) (٢) .

وقد كان يمكن قبول دعوى وجوب العصمة لو كانت طاعته واجبة بمجرد قوله، ولكن الأمر غير ذلك؛ إذ تجب طاعته لأن ذلك حكم الله ورسوله، وإذا كان الأمر كذلك فيكفي عدم كذبه في بيان الأحكام .

"وإنه من المعلوم عند الناس أن المقصود من تنصيب الإمام هو تنفيذ الأحكام ودرء المفاسد، وحفظ الأمن والنظر في مصالح العامة وغير ذلك، وليس من شرط بقائه في الحكم أن يكون معصومًا. ولم يطالبه الشرع بإصابة عين الحق حتما في كل قضية، وإنما المطلوب منه أن يتحرى العدل بقدر الإمكان، ولا مانع بعد ذلك أن يخطئ ويصيب كبقية الناس.. ولو طلب من هؤلاء الشيعة الذين يدّعون عصمة أئمتهم أن يأتوا بدليل واحد من القرآن، أو السنة النبوية، أو عن الصحابة، أو عن إجماع الأمة لما استطاعوا إلي ذلك سبيلاً، إذ القرآن الكريم لم يصرح بعصمة أحد، بل أثبت أن المعصية من

---

(١) الفاضح لمذهب الشيعة الإمامية، حامد مسوحلي الإدريسي، ط: مكتبة الرضوان، مصر ج١ ص٢٢ .

(٢) انظر: الشافي في الإمامة، ٢/ ٢٥٧، نقلا عن: في الإمامة والعصمة، عبد الله بن الحسين بن محمد الكبسي الملقب بالديلمي، ج١ ص٢٣ .

شأن الإنسان، فإنه قد صدرت من آدم الذي هو أبو البشر، وأخبر عن موسى بأنه قتل، وعن يونس أنه ذهب مغاضبًا. وفيه عتاب من الله تعالي لبعض أنبيائه ورسله بسبب تصرفات صدرت منهم. وورد في السنة النبوية ما يشير إلي ذلك في وقائع صدرت من الرسول الكريم ﷺ كما قال تعالي: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾، وما ورد في عتابه عن أخذهم الفداء من أساري معركة بدر، وغير ذلك مما هو معروف في الكتاب والسنة وأقوال علماء الإسلام" (١) .

والرد علي الدليل الثالث: لا يمكن التسليم بأن غير المعصوم لابد أن يكون ظالمـًا، أو أن غير الظالم لابد أن يكون معصومـًا، فبين العصمة وعدم الظلم فرق شاسع، فالمخطئ قبل التكليف ليس ظالمـًا ولا يحاسب بالاتفاق، ومن ندر ارتكابه للصغائر وأتبعها بالتوبة والاستغفار لا يكون ظالمـًا، أما الخطأ والنسيان فمما لا يحاسب "والعصمة من الخطأ كبيره وصغيره، عمداً وسهواً ونسيانـًا من المولد إلي الممات أمر يتنافى مع الطبيعة البشرية، فلا يقبله العقل إلا بالدليل قطعي من النقل. وهذه الآية الكريمة لا تثبته للأئمة عمومـًا فضلاً عن أئمة الجعفرية علي وجه الخصوص، علي أن دلالة القرآن الكريم تتنافي مع مثل هذه العصمة حتى بالنسبة لخير البشر جميعـًا الذين اصطفاهم الله تعالي للنبوة والرسالة." (٢) .

وفي قصة آدم عليه السلام بعد أن قال له ولزوجته: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥﴾ (٣) فسماه ظالمـًا لكنه تاب عليه وقبل توبته، فانتهي ظلمه لنفسه بالتوبة.

والمؤمنين المتقين قد يصدر من أحدهم بعض الصغائر أو الكبائر، لكنهم ملازمون للتوبة

---

(١) فرق معاصرة تنتسب إلي الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، د/ غالب بن علي عواجي، ط: المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ج١ ص٣٧٢ .

(٢) مع الإثنى عشرية في الأصول والفروع، د/ علي بن أحمد علي السالوس، ط: دار الفضيلة بالرياض، دار الثقافة بقطر، مكتبة دار القرآن بمصر، الطبعة: السابعة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م، ج١ ص٥٨ .

(٣) سورة البقرة، الآية (٣٥) .

مبادرون لها، فتمحى ذنوبهم فإذا تاب الإنسان لا يسمى ظالمـًا كما وصفهم الله بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ ﴾[١] .

والرد علي الدليل العقلي الرابع: "فقولهم إن الإمام يجب أن يكون معصوما لأن العصمة لطف واللطف واجب في الأئمة. قلنا إن كانت العصمة في الإمام باعتبار اللطف، فالخلفاء قبل علي معصومون دونه، لأن اللطف كان بإمامتهم موجودا لما عرفت من استظهار الإسلام والمسلمين في أيامهم، ونقيصة الإسلام والمسلمين في أيامه. وأما الحسن فكان اللطف في ترك إمامته. وأما الحسين فقد اشتهر ما حصل في طلبه الإمامة من الفساد. والباقون من أولاد علي الذين وراء الحسين إما مقيد أو منهزم؛ ولا إمامة لهم فضلاً عن العصمة. والأخير الذي يعتقدونه مهديا مفقود لم ينتفعوا به في أمر دين ولا دنيا. فلينظر ذو اللب من المستحق للعصمة علي حسب تقريرهم: هل هو الذي حصل بإمامته اللطف أو الذي لم يحصل" [٢] .

فقالوا: "فان قيل: قد تقدم أن الإمامة لطف واللطف واجب علي الله تعالي فإذا كان الإمام مستتراً كان الله تعالي مخلاً بالواجب ـ وتعالي الله عن ذلك علواً كبيراً ـ فالجواب: اللطف الواجب علي الله تعالي في الإمام هو نصبه وتكليفه بالإمامة، والله تعالي قد فعل ذلك فلم يكن مخلاً بالواجب، وإنما الإخلال بالواجب من قبل الرعية، فإنهم يجب عليهم أن يتابعوه، ويمتثلوا أوامره ونواهيه، ويمكنوه من أنفسهم، فحيث لم يفعلوا ذلك كانوا مخلّين بالواجب، فهلاكهم من قبل أنفسهم"[٣] .

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٣٥) .

(٢) الحجج الباهرة في إفحام الطائفة الكافرة الفاجرة،محمد بن أسعد الصديقي الدَّوَّاني، جلال الدين (المتوفى: ٩١٨هـ)، تحقيق ودراسة: د/ عبد الله حاج علي منيب، ط: مكتبة الإمام البخاري، الطبعة: الأولي، ١٤٢٠ هـ ج١ ص٢٠٧ .

(٣) النكت الاعتقادية، الشيخ/ المفيد، ج ١٠ ص٤٥ .

ويرد ابن تيمية قَوْلَهُم فيقول: فَإِنْ قِيلَ: الْمُرَادُ بِنَصْبِهِمْ أَنَّهُ أَوْجَبَ عَلي الْخَلْقِ طَاعَتَهُمْ، فَإِذَا أَطَاعُوهُمْ هَدَوْهُمْ لكِنَّ الْخَلْقَ عَصَوْهُمْ، فَيُقَالُ: فَلَمْ يَحْصُلْ بِمُجَرَّدِ ذَلِكَ فِي الْعَالَمِ لا لُطْفٌ، وَلَا رَحْمَةٌ، بَلْ إِنَّمَا حَصَلَ تَكْذِيبُ النَّاسِ لَهُمْ، وَمَعْصِيَتُهُمْ إِيَّاهُمْ، وَأَيْضًا، فَالْمُؤْمِنُونَ بِالْمُنْتَظَرِ لَمْ يَنْتَفِعُوا بِهِ، وَلَا حَصَلَ بِهِ لُطْفٌ، وَلَا مَصْلَحَةٌ مَعَ كَوْنِهِمْ يُحِبُّونَهُ، وَيُوَالُونَهُ فَعُلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَحْصُلْ بِهِ لُطْفٌ، وَلَا مَصْلَحَةٌ لا لِمَنْ أَقَرَّ بِإِمَامَتِهِ، وَلَا لِمَنْ جَحَدَهَا، فَبَطَلَ مَا يَذْكُرُونَ أَنَّ الْعَالَمَ حَصَلَ فِيهِ اللُّطْفُ، وَالرَّحْمَةُ بِهَذَا الْمَعْصُومِ، وَعُلِمَ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ هَذَا الْعَالَمَ لَمْ يَحْصُلْ فِيهِ بِهَذَا الْمُنْتَظَرِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ لَا لِمَنْ آمَنَ بِهِ، وَلَا لِمَنْ كَفَرَ بِهِ بِخِلَافِ الرَّسُولِ، وَالنَّبِيِّ الَّذِي بَعَثَهُ اللهُ" (١) .

ورد عليهم الإمام الذهبي أيضـًا فقال: فَإِن قيل المُرَاد بنصبهم أَنه أوجب عَلَيْهِم طاعتهم فَإِذا أطاعوهم هدوهم وَلَكِن الْخلق عصوهم فَيُقَال لم يحصل بِمُجَرَّد ذَلِك فِي الْعَالم لَا لطف وَلَا رَحْمَة بل إِنَّمَا حصل تَكْذِيب النَّاس لَهُم ومعصيتهم إيَّاهُم، والمنتظر مَا انْتفع بِهِ من أقرّ بِهِ وَلَا من جَحده وَأما سَائِر الاثني عشر سوى عَليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَكَانَت الْمَنْفَعَة بأحدهم كالمنفعة بأمثاله من أَئِمَّة الدّين وَالْعلم، وَأما الْمَنْفَعَة الْمَطْلُوبَة من أولي الْأَمر فَلم تحصل بهم، فَتبين أَن مَا ذكره من اللطف تلبيس وَكذب" (٢) .

"وَسَائِرُ الْأَئِمَّةِ ...عِنْدَ مَنْ يَقُولُ بِإِمَامَتِهِ: إِمَّا خَائِفٌ عَاجِزٌ، وَإِمَّا هَارِبٌ مُخْتَفٍ مِنْ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِمِائَةِ سَنَةٍ، وَهُوَ لَمْ يَهْدِ ضَالًّا وَلَا أَمَرَ بِمَعْرُوفٍ، وَلَا نَهي عَنْ مُنْكَرٍ، وَلَا نَصَرَ مَظْلُومًا، وَلَا أَفْتَى أَحَدًا فِي مَسْأَلَةٍ، وَلَا حَكَمَ فِي قَضِيَّةٍ، وَلَا يُعْرَفُ لَهُ وُجُودٌ، فَأَيُّ فَائِدَةٍ حَصَلَتْ مِنْ هَذَا لَوْ كَانَ مَوْجُودًا، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ الْإِسْلَامُ بِهِ عَزِيزًا" (٣) .

---

(١) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، ط: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ج١ ص١٣٢ .

(2) المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: محب الدين الخطيب، ج١ ص٣٤.

(٣) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، ط: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ج٨ ص٢٤١ .

ومن الغرائب أن واحداً من هؤلاء الاثني عشر لم يملك زمام الحكم أبداً غير علي بن أبي طالب رضي الله عنه "ولو تنازلنا فرضًا علي صحة قولكم فهل يكون اللطف بإمام قائم ظاهر قادر، يرجى نفعه ويخشى عقابه، أم يكون اللطف بإمام مقهور مستور في سرداب سامراء منذ ثلاثة عشر قرنًا كما تعتقدون .. وقد شكا أحد رؤساء الشيعة إلي المقدسي فساد الخلق ثم قال له وما يصلحهم، قال المقدسي يصلحهم خروج المهدي، فقال السائل هل لخروجه وقت معلوم؟ فأجاب نعم: قال متى يكون؟ قال: إذا فسد الخلق، فقال السائل وهل تحبسونه عن الخلق وقد فسدوا كلهم غيركم، فلو فسدتم لخرج، فأسرعوا به إلينا، وأطلقوه من سجنه بدخولكم معنا " (١) .

"وقد احتجوا ـ علي العصمة ـ بالقياس علي النبوة بجامع إقامة الشريعة، وتنفيذ الأحكام، وحماية حوزة الإسلام، ورد بأن النبي مبعوث من الله مقرون دعواه بالمعجزات الباهرة الدالة علي عصمته من الكذب وسائر الأمور المحلة بمرتبة النبوة ومنصب الرسالة، ولا كذلك الإمام، فإن نصبه مفوض إلي العباد الذين لا سبيل لهم إلي معرفة عصمته واستقامة سريرته، فلا وجه لاشتراطها، وأيضا النبي يأتي بالشريعة التي لا علم للعباد بها إلا من جهته، فلو لم يكن معصوما عن الكذب في تبليغها، والفسق في تعاطيها ـ وقد لزمنا امتثاله فيما أمر ونهي واعتقاد إباحة ما جرى عليه ومضى ـ لكانت المعجزة التي أقامها الله تعالي لصحة الرسالة والهدى، وانتظام أمر الدين والدنيا مفضية إلي الضلالة والردى، واختلال حال العاجلة والعقبى" (٢) .

وأخيراً: "وإذا قيل للإمامية هل ما أنتم عليه الآن هو الإسلام الذي يريده الله عز وجل أم لا؟ سيقولون بالأول فكيف عرفت الإمامية الإسلام وحفظته من دون معصومٍ، إن قالوا بالأئمة قلنا أفلا تكفي عصمة النبي محمدٍ صلي الله وسلم عليه وعلي آله؟ وما الدليل علي صحة الإسلام؟ هل العصمة،

---

(١) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، محماس بن عبد الله بن محمد الجلعود،ط:دار اليقين للنشر والتوزيع، ج٢ ص٥٤٩ .

(٢) شرح المقاصد في علم الكلام، التفتازاني، ج٢ ص٤٣٣ .

أم وصوله إلينا معاشر المسلمين متواتراً عن بني الإسلام؟ وهل الإسلام مرتبطٌ بالعصمة فإذا انعدمت وغابت العصمة ضاع الإسلام وذهب؟ وإذا كان مرتبطًا بالعصمة فيجب أن لا يغيب عنا طرفة عين سواء كان سبب غيابه نحن أو لا، وهل كلفنا الله بمعرفة الإسلام مع أنها لا تعرف إلا بالإمام المعصوم لأننا ناقصون علي حد زعمكم؟ وهل نحن قادرون علي معرفة الشريعة الغراء اليوم مع عدم وجود معصومٍ، أو اختفاءه مئات السنين بحيث انعدمت فائدة العصمة؟ إن قلتم نستطيع؛ فلماذا أوجبتم العصمة؟ وإن قلتم لا؛ فهل نحن الآن مكلفون بمعرفة الشريعة أم لا؟ إن قلتم نعم؛ فهل في هذا تكليفٌ بما لا يطاق وهو قبيح؟ فإن قلتم لا ـ وأنتم لن تقولوها ـ كفرتم "[1].

وهل نحن في حاجة إلي إمام ملهم محدث معصوم أم إمام ذو كفاءة ودين؟ وقد بين الله صفات الممكن في الأرض فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[2] فالمقصد الأسنى من وجوده إقامة دين الله في الأرض وهذه لا تحتاج إلا إلي كفاءة ودين يقول ابن تيمية: "فَالْمَقْصُودُ الْوَاجِبُ بِالْوِلَايَاتِ: إصْلَاحُ دِينِ الْخَلْقِ الَّذِي مَتَى فَاتَهُمْ خَسِرُوا خُسْرَانًا مُبِينًا وَلَمْ يَنْفَعْهُمْ مَا نَعِمُوا بِهِ فِي الدُّنْيَا؛ وَإِصْلَاحُ مَا لَا يَقُومُ الدِّينُ إلَّا بِهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاهُمْ" [3].

والكتاب والسنة فيهما تبيان كل شيء كما قال تعالي: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ

(١) مع الإمامية في الإمامة والعصمة: عبد الله بن الحسين بن محمد الكبسي الملقب بالديلمي ج١ ص٢٩ مرجع سابق.

(٢) سورة الحج، الآية (٤١).

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية الحراني، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ج٢٨ ص٢٦٢.

شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾ [(١)] .

ففي شؤون الدنيا فقد أرجعها النبي ﷺ لأهل الاختصاص حيث قال "أنتم أعلم بشؤون دنياكم"[(٢)] أما في شؤون الدين فقد اكتمل، وحفظ، وفيه تبيان كل شيء، فلم يبق للإمام إلا مشورة البطانة الصالحة. و"تنفيذ الأحكام، ودرء المفاسد، وحفظ بيضة الإسلام، فلا حاجة في ذلك إلي العصمة، بل الاجتهاد والعدالة كافيان" [(٣)].

فلا حاجة لنا لملهم، أو محدث، أو معصوم خاصة وأن القرآن والسنة لم ينصا علي شيء من ذلك، وإنما نحن في حاجة إلي الكفاءة والدين .

ومن العجيب أنه قد صدح كل الأئمة بعدم عصمتهم في كثير من المناسبات، ثم يروي الشيعة بعض ذلك في كتبهم، ثم لا يأخذون بها.

روى المجلسي في باب التسليم علي النساء، عن علي رضي الله عنه أنه كان يكره التسليم علي الشابة منهن ويقول: "أتخوف أن يعجبني صوتها، فيدخل علي أكثر مما أطلب من الأجر" [(٤)] ولو كان علي يدعي

---

(١) والمراد بتيان كل شي القواعد الكلية وليس المراد الجزئيات، فهي بالضرورة تندرج تحتها يقول الشاطبى مبينا معنى كمال الدين "وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِالْآيَةِ الْكَمَالَ بِحَسَبِ تَحْصِيلِ الْجُزْئِيَّاتِ بِالْفِعْلِ، فَالْجُزْئِيَّاتُ لَا نِهَايَةَ لَهَا، فَلَا تَنْحَصِرُ بِمَرْسُومٍ، وَقَدْ نَصَّ الْعُلَمَاءُ عَلي هَذَا الْمَعْنَى، فَإِنَّمَا الْمُرَادُ الْكَمَالُ بِحَسَبِ مَا يحتاج إليه من القواعد الكلية الَّتِي يَجْرِي عَلَيْهَا مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ مِنَ النَّوَازِلِ، سورة النحل، الآية (٨٩)، الاعْتِصَام: للشاطبي، ط: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية .

(٢) رواه مسلم .

(٣) مختصر التحفة الاثني عشرية، ألّف أصله باللغة الفارسية: علامة الهند شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي، نقله من الفارسية إلي العربية: (سنة ١٢٢٧ هـ) الشيخ الحافظ غلام محمد بن محيي الدين بن عمر الأسلمي اختصره وهذبه: (سنة ١٣٠١ هـ) علامة العراق محمود شكري الألوسي، حققه وعلق حواشيه:محب الدين الخطيب، ط: المطبعة السلفية، القاهرة عام النشر: ١٣٧٣ هـ ج١ ص١٢١ .

(٤) بحار الأنوار، الشيخ/ محمد باقر المجلسي، ط: مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ج١٠١ ص٣٧ .

العصمة لنفسه كما يزعم الشيعة لما خاف الإثم .

ومع أن الشيعة قالوا بعصمتهم فنراهم يتناقضون مع هذا المبدأ فيبيحون للإمام إذا خاف علي نفسه أن يقول: لستُ بإمام، وهو التقية، وكان الواجب إذا كان معصوما ألا يكون في بعض أحواله صادقًا وفي البعض الآخر كاذبًا .

"والواقع العملي للأئمة يتنافى مع هذه العصمة، مثال ذلك أن الحسن رضي الله عنه هادن مع كثرة أنصاره، والحسين رضي الله عنه حارب مع قلة من أنصاره، فلو كان أحدهما مصيبًا، كان الآخر مخطئًا، أي غير معصوم، ولا يمكن أن يكون الاثنان مصيبين" (١) .

العصمــة الحقيقيــة:

هل معنى العصمة أن يكون الإنسان ممنوعا من المعصية فعلي أي شيء يكون الثواب والعقاب، والحياة دار ابتلاء قال تعالي: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ (٢) فتحتاج إلي مجاهدة وإلا فكيف يدخل الإمام الجنة وهو معصوم كالملائكة .

وهم يعترفون بذلك._قال الشيخ المفيد: إن الأئمة معصومون كعصمة الأنبياء ولا تجوز عليهم صغيرةٌ إلا ما قدم جوازه علي الأنبياء، ولا ينسون شيئًا من الأحكام، ولا يدخل في مفهوم العصمة سلب القدرة عن المعاصي ولا كون المعصوم مضطراً إلي فعل الطاعات، فإن ذلك يستدعي بطلان الثواب والعقاب" (٣) .

---

(١) مع الاثنى عشرية في الأصول والفروع، د/ علي بن أحمد علي السالوس، ط: دار الفضيلة بالرياض، دار الثقافة بقطر، مكتبة دار القرآن بمصر، الطبعة: السابعة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م، ج١ص٣٠٢ .

(٢) سورة الملك، الآية (٢) .

(٣) مع الشيعة الإمامية في عقائدهم، جعفر السجاني، ص٥٧، نقلاً عن: مع الإمامية في الإمامة والعصمة، عبد الله بن الحسين بن محمد الكبسي الملقب بالديلمي، مرجع سابق .

وقالوا:" ليس معنى العصمة أن الله يجبُرهُ علي ترك المعصية، بل يفعل به ألطافًا، يترك معها المعصية، باختياره، مع قدرته عليها" (١) .

وهذا اللطف لكل إنسان تقي، وليست خاصة بالأئمة، فيمكن للإنسان أن يصل إلي العصمة يعنى التوفيق والسداد، وبغض المعصية كما قال تعالي: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٨﴾ (٢) .

(وإذا كانت العصمة بمعنى" منع، وَمِنْه الْعِصْمَة فِي الدّين إِنَّمَا هُوَ الْمَنْع من الْمعاصِي، وَقَوله "لَا عَاصِم الْيَوْم من أَمر الله" أَي لَا مَانع" والْعِصْمَةُ: بمعنى أَنْ يَعْصِمَ اللهُ ـ تَعَالي ـ عَبْدَهُ مِنْ سُوءٍ يَقَعُ فِيهِ. وَاعْتَصَمَ الْعَبْدُ بِاللهِ ـ تَعَالي ـ، إِذَا امْتَنَعَ. وَاسْتَعْصَمَ: الْتَجَأَ) (٣) فهذا يحدث لكل مؤمن حقيقي، فعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « إِنَّ اللهَ يَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُ كَمَا تَحْمُونَ مَرِيضَكُمُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ تَخَافُونَ عَلَيْهِ » (٤) ويلهم التوفيق من الله تعالي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٢٨﴾ (٥)، وقال تعالي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ

---

(١) حق اليقين، السيد عبد الله شبر، ج١ ص٩١ .

(٢) سورة الحجرات، الآيتان (٧، ٨) .

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، ط: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ج٤ ص٣٢١ .

(٤) رواه أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولي، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م، ج٢٩ ص٢٧.

(٥) سورة الحديد، الآية (٢٨) .

ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾[1].

فالعصمة في الحقيقة كما "نَقَلَ السَّعْدُ التَّفْتَازَانِيُّ عَنْ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ أَنَّ الْعِصْمَةَ هِيَ التَّوْفِيقُ بِعَيْنِهِ، فَإِنْ عَمَّتْ كَانَ تَوْفِيقًا عَامًّا، وَإِنْ خَصَّتْ كَانَ تَوْفِيقًا خَاصًّا، وَأَنَّ اللُّطْفَ هُوَ التَّوْفِيقُ أَيْضًا، وَأَنَّ الْمُوَفَّقَ لَا يَعْصِي، إِذْ لَا قُدْرَةَ لَهُ عَلي الْمَعْصِيَةِ، كَمَا أَنَّ الْمَخْذُولَ لَا يُطِيعُ" [2].

والمعصوم من عصمه الله روى البخاري عن أَبِي سَعِيـد، قَالَ رسول الله ﷺ: ﴿ مَا اسْتُخْلِفَ خَلِيفَةٌ إِلا لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْخَيْرِ، وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ، وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمه اللهُ" قال المهلب: الله هو الذي يعصم من نزعات الشيطان، ومن شر كل وسواس خناس من الجنة والناس، وليس من خليفة ولا أمير إلا والناس حوله رجلان: رجل يريد الدنيا والاستكثار منها، فهو يأمره بالشر ويحضه عليه ورجل يحضه علي الخير، ويأمره به لتقوم به الحجة عليه من الله في القيامة، وهم الأقل، والمعصوم من الأمراء من عصمه لا من عصمته نفسه الأمارة بالسوء ﴾ [3].

المطلب الرابع

أدلة عامة على إمامة علي

هناك نصوص عامة استدل بها الشيعة علي ولاية علي رضي الله عنه أهمها آية الولاية وحديث الغدير، وفي

---

(١) سورة الأنفال، الآية (٢٩).

(٢) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، ط: مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ج١ ص٣٣٨.

(٣) انظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط: مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ج١٠ ص٢١٠.

مناظرة لعلي الكوراني مع الشيخ عدنان العرعور ـ علي قناة صفا ـ لخص الدليل علي ولاية علي رضي الله عنه فقال: ودليل ذلك قوله تعالي: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥﴾ [(١)] فقد حصر الولاية في المؤمنين الذين هذه صفاتهم (الذي أدى زكاته وهو راكع) ولم يفعلها إلا علي، فهذه الآية هي أعظم دليل علي ولاية علي" [(٢)] .

"فالمراد بذلك أمير المؤمنين لاتفاق المفسرين علي أنها نزلت في حقه وهو راكع في صلاته ... فيكون هو المعني بها والمخصوص بالولاية العامة والرتبة التامة" [(٣)] وتفسيره حديث غدير خم[(٤)] وهو ما رواه " أَبو سَرِيحَةَ، أَوْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، شَكَّ شُعْبَةُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاَهُ" [(٥)] .

وروى الكليني القصة فقال "فلما رجع رسول الله صلي الله عليه وآله من حجة الوداع نزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ" فنادي الناس فاجتمعوا وأمر بسمرات فقم شوكهن، ثم قال صلي الله عليه وآله: أيها الناس من وليكم وأولي بكم من أنفسكم؟ فقالوا: الله ورسوله، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وآل من والاه، وعاد من عاداه ـ ثلاث مرات ـ فوقعت حسكة النفاق في قلوب القوم وقالوا: ما أنزل

---

(١) سورة المائدة، الآية (٥٥) .

(٢) مناظرة علي قناة صفا مع الشيخ عدنان العرعور وهي موجودة علي اليوتيوب .

(٣) الإمامة، عبد النبي سعد الدين، ط:مكتبة الروضة الحيدرية، ص١٠٦ .

(٤) غدير خمّ علي ثلاثة أميال من الجحفة، يسرة عن الطريق. بين مَكَّة وَالْمَدِيْنَة وهذا الغدير تصبّ فيه عين، وحوله شجر كثير ملتفّ، وهي الغيضة التي تسمّى خمّ. وبها غدير نسب إليها خمّ في اللغة: قفص الدجاج ويقال: فلان مخموم القلب أي نقيّه، فكأنها سميت بذلك لنقائها)، انظر: معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، ط: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م، ج٢ ص٣٨٩ .

(٥) رواه الترمذي، باب:مناقب علي، ط:دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج٦ ص٧٤، وقال حسن غريب .

الله جل ذكره هذا علي محمد قط وما يريد إلا أن يرفع ابن عمه" (١) .

ومن النصوص التي استدلوا بها أيضا" أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَ" (٢) .

الرد على دعوى إمامة علي رضي الله عنه :

والرد علي آية الولاية في نقاط عدة هي:

ـ لماذا لم يستشهد على بهذه الآية علي ولايته عندما تولي أبو بكر رضي الله عنه .

ـ هل معنى وليكم في الآية (الولاية) هذا غير صحيح، فلا تأتي الولاية "بفتح الواو" بمعنى الولاية بكسرها "فيصبح المعنى من كنت حاكمه فعلي حاكمه، والقرينة البعدية تدل على أن المراد بالمولي المحبة، وهي "«اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه». وأما تخصيص الإمام بالذكر فلما علمه صلي الله تعالي عليه وسلم لوقوع الفساد والبغي في خلافته، وإنكار بعض الناس إمامته)(٣).

"ثمَّ إِن لفظ الْمولي قد يُطلق بِمَعْنى الْمُحب، وَقد يُطلق بِمَعْنى الْمُعْتق، وَبِمَعْنى الظّهْر وَالْخلف، وَبِمَعْنى الْمَكَان وَالْمقر، وَبِمَعْنى النَّاصِر، وَمِنْه قَوْله تَعَالي "فَإِن الله هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيل وَصَالح الْمُؤمنِينَ" أي ناصره وَمِنْه قَول الأخطل: ـ فَأَصْبَحت مَوْلَاهُ من النَّاس كلهم وَأَحْرَى قُرَيْش أَن يهاب ويحمدا ـ أي ناصرها فَيحْتَمل أَن يكون كَلَام النبي عَلَيْهِ السَّلَام منزلا علي هَذَا الْمَعْنى وَهُوَ أظهر فِي لفظ الْمولي وَلَا يُمكن حمل لفظ الْمولي علي الأولي فَإِن ذَلِك مِمَّا لَا يرد فِي اللُّغَة أصلا وَقَوله "مأواكم النَّار هِيَ مولاكم" لَيْسَ الْمَعْنى بِهِ أولي بكم بل مستقركم ومكانكم ثمَّ وَإِن كَانَ

---

(١) الكافي، الكليني، ج١ ص٤٢٧ .

(٢) بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، ط: مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ج٢٩ص٦٠٢ .

(٣) انظر صب العذاب علي من سب الأصحاب: أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي دراسة وتحقيق: عبد الله البخاري ط: أضواء السلف، الرياض الطبعة: الأولي، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ مج١ ص٣٥١.

ذَلِك مُحْتملا فَهُوَ مِمَّا يمْتَنع حمل كَلَام النبي عَلَيْهِ لما فِيهِ من مراغمة الْإِجْمَاع وَمُخَالفَة اتِّفَاق الْمُسلمين وَهدم قَوَاعِد الدّين ثمَّ إِنَّه لَو صَحَّ الِاعْتِمَاد علي مثل هَذِه الْآثَار فِي التَّوْلِيَة لقد كَانَ ذَلِك بطرِيق الأولي فِيمَا تمسك بِهِ الْقَائِلُونَ بالتنصيص علي خلَافَة أَبى بكر ﷺ فَإِنَّهَا مَعَ مَا واتاها من إِجْمَاع الْمُسلمين أشهر وَأولي " (١) .

ولماذا لم يقل النبي صراحة علي إمامة علي دون هذه الموارية وتركنا للاستنتاجات.

روى البيهقي عن فُضَيْلُ بْنُ مَرْزُوقٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ الْحَسَنِ، وَسَأَلَهُ، رَجُلٌ، أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ" ، قَالَ لِي: بَلي وَاللهِ لَوْ يَعْنِي بِذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْإِمَارَةَ وَالسُّلْطَانَ لَأَفْصَحَ لَهُمْ بِذَلِكَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ أَنْصَحَ لِلْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَذَا وَلِيُّ أَمْرِكِمْ وَالْقَائِمُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا وَاللهِ لَئِنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ اختَارَ عَلِيًّا لِهَذَا الْأَمْرِ وَجَعَلَهُ الْقَائِمَ بِهِ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ ثُمَّ تَرَكَ عَلِيٌّ مَا أَمَرَ اللهُ وَرَسُولُهُ لَكانَ عَلِيٌّ أَوَّلَ مِنْ تَرَكَ أَمْرَ اللهِ وَرَسُولِهِ" (٢) .

ـ ولو كانت الإمامة فيهم لأوصى إليهم، ولم يوص بهم روى مسلم عن حُصَيْنُ بْنُ سَبْرَةَ " قَالَ: قال رسول الله ﷺ: ﴿ وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي" فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ يَا زَيْدُ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ قَالَ:

---

(١) غاية المرام في علم الكلام: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ) المحقق: حسن محمود عبد اللطيف ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ج١ ص٣٧٨

(٢) الاعتقاد والهداية إلي سبيل الرشاد علي مذهب السلف وأصحاب الحديث، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، ط: دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة: الأولي، ج١ ص٢٥٥ .

كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ ﴾ (١) .

فهل يوصى المرؤوس بالرئيس أم العكس ولو كان الأمر كما يقولون لقال يأهل بيتي أوصيكم بالناس.

وحديث ﴿أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى﴾: "كما قال ابن حزم "وَهَذَا لَا يُوجب لَهُ فضلاً علي من سواهُ، وَلَا اسْتِحْقَاق الْإِمَامَة بعده عليه السلام لِأَن هَارُون لم يل أَمر نَبِي إِسْرَائِيل بعد مُوسَى عليهما السلام، وَإِنَّمَا ولي الْأَمر بعد مُوسَى عليه السلام يُوشَع بن نون - فَتى مُوسَى وَصَاحبه الذي سَافر مَعَه فِي طلب الْخضر عليهما السلام - كَمَا ولي الْأَمر بعد رَسُول الله ﷺ صَاحبه فِي الْغَار الَّذِي سَافر مَعَه إِلَى الْمَدِينَة وَإِذا لم يكن عَليّ نَبيا كَمَا كَانَ هَارُون نَبيا وَلَا كَانَ هَارُون خَليفَة بعد موت مُوسَى علي بني إِسْرَائِيل فقد صَحَّ أَن كَونه رضي الله عنه بِمَنْزِلَة هَارُون من مُوسَى إِنَّمَا هُوَ فِي الْقَرَابَة فَقَط، وَأَيْضًا فَإِنَّمَا قَالَ لَهُ رَسُول الله ﷺ هَذَا القَوْل إِذا اسْتَخْلَفَهُ علي الْمَدِينَة فِي غَزْوَة تَبُوك فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ استقله فخلفه فلحق عَليّ بِرَسُول الله ﷺ فَشَكي ذَلِك إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ رَسُول الله ﷺ حِينَئِذٍ أَنْت مني بِمَنْزِلَة هَارُون من مُوسَى يُرِيد عليه السلام أَنه اسْتَخْلَفَهُ علي الْمَدِينَة مُخْتَارًا استخلافه كَمَا اسْتخْلف مُوسَى عليه السلام هَارُون عليه السلام أَيْضا مُخْتَارا لاستخلافه ثمَّ قد اسْتخْلف ﷺ قبل تَبُوك وَبعد تَبُوك علي الْمَدِينَة فِي أَسْفَاره رجَالًا سوى عَليّ رضي الله عنه فصح أَن هَذَا الِاسْتِخْلَاف لَا يُوجب لعَلي فضلاً علي غَيره وَلَا ولَايَة الْأَمر بعده كَمَا لم يُوجب ذَلِك لغيره من المستخلفين" (٢) .

---

(١) رواه مسلم، باب:فضائل علي، ج٤ ص ١٨٧٣، مرجع سابق .

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦ هـ)، ط: مكتبة الخانجي، القاهرة، ج٤ ص ٧٨ .

(فهذا الاستخلاف ليس خاصًا بعلي، وقد استخلف الرسول ﷺ علي المدينة آخرين، ومثل هذا الاستخلاف في حياة الرسول ﷺ لا يقتضي الخلافة في الأمة بعد مماته، ولو أراد الرسول ﷺ الخلافة العظمى لقالها، وواضح من شكوى الإمام في جعله مع الخوالف من النساء والصبيان، أن في قول الرسول ﷺ ترضية لنفسه وتهدئة لخواطره) (١) .

وقد رد ابن تيمية علي استدلالهم بَحَدِيثُ: ﴿ أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَ ﴾ (٢) .

قال وهذا الحديث: "يعدّ في الموضوعات، وَإِنْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وقد ذَكَرَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ وَبَيَّنَ أَنَّ سَائِرَ طُرُقِهِ مَوْضُوعَةٌ، وَالْكَذِبُ يُعْرَفُ مِنْ نَفْسِ مَتْنِهِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِذَا كَانَ مَدِينَةَ الْعِلْمِ، وَلَمْ

(١) انظر: مع الاثنى عشرية في الأصول والفروع، د/ علي بن أحمد علي السالوس، ط: دار الفضيلة بالرياض، دار الثقافة بقطر، مكتبة دار القرآن بمصر، الطبعة: السابعة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م، ج١ ص١٤١ .

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في "تهذيب الآثار"، والطبراني في " المعجم الكبير " (٣/ ١٠٨/ ١) ، والحاكم (٣/ ١٢٦)، والخطيب في " تاريخ بغداد " (١١/ ٤٨)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (١٢/ ١٥٩/ ٢) من طريق أبي الصلت عبد السلام بن صالح العروي: أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعا.وقال ابن جرير والحاكم:"صحيح الإسناد". ورده الذهبي بقوله:"بل موضوع". ثم قال الحاكم" وأبو الصلت ثقة مأمون". فتعقبه الذهبي بقوله:" قلت: لا والله، لا ثقة ولا مأمون ".وقال في كتابه " الضعفاء والمتروكين ":" اتهمه بالكذب غير واحد، قال أبو زرعة: لم يكن بثقة. وقال ابن عدي: متهم. وقال غيره: رافضي "وقال في كتابه " الضعفاء والمتروكين " " اتهمه بالكذب غير واحد، قال أبو زرعة: لم يكن بثقة. وقال ابن عدي: متهم. وقال غيره: رافضي ". وقال الحافظ في "التقريب": "صدوق، له مناكير، وكان يتشيع، وأفرط العقيلي فقال: كذاب ".قلت: لم يوثقه أحد سوى ابن معين، وقد اضطرب قوله فيه علي وجوه:الأول: أنه ثقة. رواه عنه الدوري. أخرجه الحاكم (٣/ ١٢٦) ، والخطيب في "التاريخ" (١١/ ٥٠) .الثاني: ثقة صدوق. رواه عنه عمر بن الحسن بن علي بن مالك في " التاريخ " (١١/ ٤٨) .الثالث: ما أعرفه بالكذب. وقال مرة: لم يكن عندنا من أهل الكذب"أنظر:سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني ط: دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية ج٦ ص٥١٨ .

يَكُنْ لها إلا باب وَاحِدٌ، فَسَدَ أَمْرُ الْإِسْلَامِ. وَلِهَذَا اتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ علي أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُبَلِّغُ عَنْهُ الْعِلْمَ وَاحِدًا، بَلْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمُبَلِّغُونَ أَهْلَ التَّوَاتُرِ، الَّذِينَ يَحْصُلُ الْعِلْمُ بِخَبَرِهِمْ للغائب. وَإِذَا قَالُوا: ذَلِكَ الْوَاحِدُ الْمَعْصُومُ يَحْصُلُ الْعِلْمُ بِخَبَرِهِ، قِيلَ لَهُمْ: فَلَا بُدَّ مِنَ الْعِلْمِ بِعِصْمَتِهِ أَوَّلًا. وَعِصْمَتُهُ لَا تَثْبُتُ بِمُجَرَّدِ خَبَرِهِ قبل أن يُعلم عصمته، وَعِنْدَ الْإِمَامِيَّةِ إِنَّمَا يَكُونُ الْإِجْمَاعُ حُجَّةً، لِأَنَّ فِيهِمُ الْإِمَامَ الْمَعْصُومَ، فَيَعُودُ الْأَمْرُ إلي إِثْبَاتِ عِصْمَتِهِ بِمُجَرَّدِ دَعْوَاهُ، فعُلم أَنَّ عِصْمَتَهُ لَوْ كَانَتْ حَقًّا لَا بُدَّ أَنْ تُعلم بِطَرِيقٍ آخَرَ غَيْرِ خَبَرِهِ، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِمَدِينَةِ الْعِلْمِ بَابٌ إِلَّا هُوَ، لَمْ يَثْبُتْ لَا عِصْمَتُهُ وَلَا غَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ، فعُلم أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ إِنَّمَا افْتَرَاهُ زِنْدِيقٌ جَاهِلٌ ظَنَّهُ مَدْحًا، وَهُوَ مَطْرَقُ الزَّنَادِقَةِ إلي الْقَدْحِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ؛ إِذْ لَمْ يُبَلِّغْهُ إِلَّا وَاحِدٌ، ثُمَّ إِنَّ هَذَا خِلَافُ الْمَعْلُومِ بِالتَّوَاتُرِ؛ فَإِنَّ جَمِيعَ مَدَائِنِ الْإِسْلَامِ بَلَغَهم الْعِلْمُ عَنِ الرَّسُولِ من غير عليّ" (١) .

حديث الخلفاء الاثْنَا عَشَرَ:

واستدل الشيعة أيضا بحديث جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي علي النَّبِيِّ ﷺ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: ﴿ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَنْقَضِي حَتَّى يَمْضِيَ فِيهِم اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً ﴾، قَالَ: ثُمَّ تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ خَفِيَ عَلَيَّ، قَالَ: فَقُلْتُ لِأَبِي: مَا قَالَ؟ قَالَ: ﴿ كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ ﴾ (٢) .

قالوا: "وفيه دلالة علي أن الأرض لا تخلو من ولي عالم، وإمام عادل لحفظ الدين، وهداية الخلق" (٣) .

"وتحديد الخلفاء باثني عشر هو الذي جعل الاثني عشرية يحتجون بهذه الروايات، ولكن من

---

(١) انظر: مختصر منهاج السنة، ابن تيمية الحراني، اختصره: الشيخ/ عبد الله بن محمد الغنيمان، ط: دار الصديق للنشر والتوزيع، صنعاء، الجمهورية اليمنية، ج١ ص٤٦٢ .

(٢) رواه مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٣ ص١٤٥٢ .

(٣) شرح أصول الكافي، مولي محمد صالح المازندراني، ج٣ ص٣٨٣ .رواه مسلم تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط:دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٣ ص١٤٥٢ .

الواضح أن هذه الروايات تشير إلي المدة التي يظل فيها عزة الإسلام والدين، وصلاح حال المسلمين. وعلي قول الجعفرية تظل هذه العزة وهذا الصلاح إلي يوم القيامة كما يظهر من قولهم في الإمام الثاني عشر، وواقع الأمر ودلالة الروايات يدلان علي غير هذا. ومن الواضح كذلك أن الأمة لم تجتمع علي أئمة الجعفرية، بل لم يتولوا الخلافة أصلاً باستثناء الإمام علي" (١) .

كما اعترض علي الحديث بأنه ولي أكثر من هذا العدد قال القاضي: وهذا اعتراض باطل، لأنه ﷺ لم يقل (لا يلي) إلا اثنا عشر خليفة، وإنما قال (يلي) وقد ولي هذا العدد، ولا يضرهم كونه وجد بعدهم غيرهم، ويحتمل أن يكون المراد مستحق الخلافة العادلين، أو ويحتمل أن المراد من يعز الإسلام في زمنه ويجتمع المسلمون عليه" (٢) .

المطلب الخامس

حكايــة المهــدي

المهدي المنتظر من عقائد الشيعة الأساسية، فكل طائفة منهم لها مهدي وغائب، وتفرقوا في هذا طوائف: فالمهدي عند الكيسانية هو محمد بن الحنفية، وعند الاثني عشرية محمد بن الحسن العسكري، وعند بقية طوائفهم أئمة مهديون ينتظرون خروجهم بغتة يملئون الأرض عدلاً بزعمهم .

رد من التاريخ علي رجعة المهدي:

الحسن العسكري لم يعقب وانقل ذلك الخبر الموثوق، المعتمد لدى الشيعة والمنقول في أصح كتبهم، في (الكافي) وهو فصل قاطع في الموضوع .

روى الكليني عن أحمد بن عبيد الله بن خاقان وهو شيعي مشهور معلن تشيعه وموالاته للحسن

---

(١) مع الاثنى عشرية في الأصول والفروع، د/ علي بن أحمد علي السالوس، ج١ ص١٤١، مرجع سابق .

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٢ ص٢٠١.

العسكري أن الحسن العسكري: "لما اعتل بعث السلطان إلي أبيه أن ابن الرضا قد اعتل، فركب من ساعته فبادر إلي دار الخلافة ثم رجع مستعجلاً ومعه خمسة من خدم أمير المؤمنين كلهم من ثقاته وخاصته، فيهم نحرير فأمرهم بلزوم دار الحسن وتعرف خبره وحاله، وبعث إلي نفر من المتطببين فأمرهم بالاختلاف إليه وتعاهده صباحًا ومساء، فلما كان بعد ذلك بيومين أو ثلاثة أخبر أنه قد ضعف، فأمر المتطببين بلزوم داره وبعث إلي قاضي القضاة فأحضره مجلسه وأمره أن يختار من أصحابه عشرة ممن يوثق به في دينه وأمانته وورعه، فأحضرهم فبعث بهم إلي دار الحسن وأمرهم بلزومه ليلاً ونهاراً، فلم يزالوا هناك حتى توفي عليه السلام فصارت سر من رأي- سامراء- ضجة واحدة وبعث السلطان إلي داره من فتشها وفتش حجرها وختم علي جميع ما فيها وطلبوا أثر ولده وجاءوا بنساء يعرفن الحمل، فدخلن إلي جواريه ينظرن إليهن، فذكر بعضهن أن هناك جارية بها حمل فجعلت في حجرة ووكل بها نحرير الخادم وأصحابه ونسوة معهم، ثم أخذوا بعد ذلك في تهيئته وعطلت الأسواق وركبت بنو هاشم والقواد وأبي وسائر الناس إلي جنازته، فكانت سر من رأي يومئذ شبيهًا بالقيامة، فلما فرغوا من تهيئته بعث السلطان إلي أبي عيسى بن المتوكل فأمره بالصلاة عليه، فلما وضعت الجنازة للصلاة عليه دنا أبو عيسى منه فكشف عن وجهه فعرضه علي بني هاشم من العلوية والعباسية والقواد والكتاب والقضاة والمعدلين وقال: هذا الحسن بن علي بن محمد بن الرضا مات حتف أنفه علي فراشه حضره من حضره من خدم أمير المؤمنين وثقاته فلان وفلان ومن القضاة فلان وفلان ومن المتطببين فلان وفلان، ثم غطى وجهه وأمر بحمله من وسط داره ودفن في البيت الذي دفن فيه أبيه. ولما دفن أخذ السلطان والناس في طلب ولده وكثر التفتيش في المنازل والدور وتوقفوا عن قسمة ميراثه ولم يزل الذين وكلوا بحفظ الجارية التي توهم عليها الحمل لازمين حتى تبيّن بطلان الحمل، فلما بطل الحمل عنهن قسم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر وادعت أمه وصيته وثبت ذلك عند

القاضي" [(١)] .

"فهذا هو الخبر الذي رواه جميع مؤرخي الشيعة ومحدثيها قد يهدم ما أرادوا بناءه علي الأساطير والقصص والحكايات والخرافات من ولادة الثاني عشر المعدوم ونشأته وإمامته.

ثم ولقد أقرّ بهذه الحقيقة الناصعة كبار القوم وزعماؤهم بأن الحسن العسكري مات:

فلم يظهر ولده في حياته، ولا عرفه الجمهور بعد وفاته، وتولي جعفر بن علي أخو أبي محمد عليه السلام وأخذ تركته، وسعى في حبس جواري أبي محمد واعتقال حلائله ... وحاز جعفر ظاهراً تركة أبي محمد عليه السلام واجتهد في القيام عند الشيعة مقامه" [(٢)] .

وأهل السنة يؤيدون هذا، يقول الطبري: "جاء رجل حسن البزة طيب الرائحة إلي باب خال المقتدر، وسلم عليه بغير الإمرة، فقال له ما تقول أعزك الله؟ قال: أنا رجل من ولد علي بن أبى طالب، وعندي نصيحة للخليفة لا يسعني أن يسمعها غيره، فدخل الخال إلي المقتدر، وأعلمه بأمره، فأدخل إلي الخليفة، وأخذ سيفه، وأدنى منه، وتنحى الغلمان والخدم، فاخبر المقتدر بشيء لم يقف عليه احد، ثم أمره بالانصراف إلي منزل أقيم له وخلع عليه ما يلبسه، ووكل به خدم يخدمونه، وأمر المقتدر أن يحضر ابن طومار[(٣)] نقيب الطالبيين ومشايخ آل أبى طالب،

(١) الكافي، الكليني، باب: مولد أبى محمد الحسن بن علي،ج١ ص٧٤٠ .

(٢) الإرشاد، للمفيد ص ٣٤٥، أعلام الورى، للطبرسي، ص ٣٨٠، كشف الغمة، ج ٣ ص ٢٠٥، نقلا عن: الشيعة والتشيع، فرق وتاريخ، إحسان إلهي ظهير الباكستاني (المتوفى: ١٤٠٧هـ)، ط: إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان الطبعة: العاشرة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م، ج١ ص٢٨٠ .

(٣) ابْن طومار مُحَمَّد بن أَحْمد بن عبد الصَّمد بن صَالح بن عَليّ ابْن الْمهْدي بِاللَّه أَبُو عبد الله الْهَاشِمِي الْمَعْرُوف بِابْن طومار ولي نقابة العباسيين والطالبيين جَمِيعًا أَيَّام المقتدر وَكَانَ يعرف الْأَنْسَاب معرفَة حَسَنَة ذكر ذَلِك أَبُو الْحسن مُحَمَّد بن عبد الْملك الهمذاني توفّي ===== سنة عشْرين وَثَلَاث مائَة وَله سَبْعُونَ سنة"، الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن

فيسمعون منه ويفهمون أمره، فدخلوا عليه، فما قام إلي واحد منهم، فسأله ابن طومار عن نسبته فزعم انه محمد بن الحسن بن علي بن موسى بن جعفر الرضا وانه قدم من البادية، فقال له ابن طومار: لم يعقب الحسن ـ وكان قوم يقولون انه أعقب وقوم قالوا لم يعقب ـ فبقى الناس في حيره من أمره حتى قال ابن طومار: هذا يزعم انه قدم من البادية وسيفه جديد الحلية والصنعة، فابعثوا بالسيف إلي دار الطاق، وسلوا عن صانعه وعن نصله، فبعث به إلي أصحاب السيوف بباب الطاق، فعرفوه واحضروا رجلا ابتاعه من صيقل هناك، فقيل له: لمن ابتعت هذا السيف؟ فقال: لرجل يعرف بابن الضبعى، كان أبوه من أصحاب ابن الفرات، وتقلد له المظالم بحلب، فاحضر الضبعى الشيخ، وجمع بينه وبين هذا المدعى إلي بني أبى طالب فاقر بأنه ابنه، فاضطرب الدعي وتلجج في قوله، فبكى الشيخ بين يدي الوزير حتى رحمه ووعده بان يستوهب عقوبته ويحبسه أو ينفيه، فضج بنو هاشم، وقالوا: يجب أن يشهر هذا بين الناس، ويعاقب أشد عقوبة، ثم حبس الدعي، وحمل بعد ذلك علي جمل، وشهر في الجانبين يوم التروية ويوم عرفه، ثم حبس في حبس المصريين بالجانب الغربي" (١) .

قال الذهبي في السير" وَمِمَّنْ قَالَ: إِنَّ الحَسَنَ العَسْكرِيَّ لَمْ يُعْقِبْ: مُحَمَّدُ بنُ جَرِيْرٍ الطَّبرِيُّ، وَيَحْيَى بنُ صَاعِدٍ، وَنَاهِيْكَ بِهِمَا مَعْرِفَةً وثِقَةً" (٢) .

وقال ابن تيمية أيضـًا: "وعقلاء الناس يعلمون أنه ليس معهم إلا الإفلاس، وأن الحسن بن علي العسكري لم ينسل ولم يُعقب، كما ذكر ذلك محمد بن جرير الطبري، وعبد الباقي بن قانع،

عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفي، ط: دار إحياء التراث ، بيروت، عام النشر:١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ج٧ ص٧٦ .

(١) تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، ط: دار التراث، بيروت، ج١١ ص٥٠ .

(٢) سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، بإشراف: الشيخ/ شعيب الأرناؤوط، ط: مؤسسة الرسالة الطبعة، الثالثة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ج١٣ ص١٢٢.

وغيرهما من أهل العلم بالنسب" (١) .

وهناك من السنة ما يدل علي أن اسم أبيه يوافق اسم أبي النبي عبدالله وليس اسم أبيه الحسن العسكري .

القول الصحيح في المهدي:

المهدي ما هو إلا رجل صالح من آل بيت النبي ﷺ، ولن يرجع وإنما يولد ولادة طبيعية، ويكون إمامًا عادلاً، ويعم الخير في حياته، حيث إن الاستبداد يأكل الخير والبركة، والذي سيرجع هو عيسى عليه السلام في زمنه كما صحت بذلك الأحاديث عن أبى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ ﴾ (٢) .

و "عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: ﴿ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلي الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلي بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ ﴾ (٣) .

و "عَنْ عَاصِمِ ابْنِ بَهْدَلَةَ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ العَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي ﴾ (٤) .

و "عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ الْمَهْدِيُّ مِنِّي، أَجْلي الْجَبْهَةِ، أَقْنَى الْأَنْفِ، يَمْلَأُ

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: محب الدين الخطيب، ج١ ص٣١ .

(٢) رواه البخاري، باب:عيسى بن مريم ^، ج٤ ص١٦٨ .

(٣) رواه مسلم، باب: نزول عيسى بن مريم ^ بشريعة نبينا، ج١ ص١٢٧ .

(٤) رواه الترمذي، باب: ما جاء في المهدي، ج٤ ص٧٥، وقال: حسن صحيح .

الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ ﴾(١) .

و "عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ﴿ الْمَهْدِيُّ مِنْ عِتْرَتِي، مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ» قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ: وَسَمِعْتُ أَبَا الْمَلِيحِ، يُثْنِي على عَلِيِّ بْنِ نُفَيْلٍ، وَيَذْكُرُ مِنْهُ صَلَاحًا ﴾(٢) .

و "عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ الْمَهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، يُصْلِحُهُ اللهُ فِي لَيْلَةٍ ﴾(٣) .

و "عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: ﴿ يَخْرُجُ فِي آخِرِ أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ يَسْقِيهِ اللهُ الْغَيْثَ، وَتُخْرِجُ الْأَرْضُ نَبَاتَهَا، وَيُعْطِي الْمَالَ صِحَاحًا، وَتَكْثُرُ الْمَاشِيَةُ وَتَعْظُمُ الْأُمَّةُ، يَعِيشُ سَبْعًا أَوْ ثَمَانِيًا» يَعْنِي حِجَجًا ﴾(٤) .

هذه الأحاديث وغيرها تفيد التواتر المعنوي، والعلم القطعي، والإيمان الاعتقادي بمهدي الأمة الذي أخبر به النبي ﷺ .

(١) رواه أبو داود، باب:كتاب المهدي، ج٤ ص١٠٧ .

(٢) رواه أبو داود، باب:كتاب المهدي، ج٤ ص١٠٧ .

(٣) رواه ابن ماجة، باب: خروج المهدي، ج٢ ص١٢٦٧ .

(٤) رواه الحكم في المستدرك، باب: ج٤ ص٦٠١، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

المطلب السادس

ولايـة الفقيـه

نلاحظ أن أئمتهم كلهم غابوا ولم يرجع أحد منهم إلي الآن، فمن يسوس الناس، فملئوا الفراغ بفكرة ولاية الفقيه، ويعرفها الخميني بأنها. " مسألة تنفيذ مهمة والعمل بالتكليف" (١) .

فمهمته هي "تنفيذ الحدود وحفظ الثغور والنظام وأخذ الضرائب من الزكاة والخمس والخراج وصرفها في مصالح المسلمين" (٢) .

ولاية الفقيه دليل كذبهم:

"فولاية الفقيه شهادة مهمة وخطيرة علي فساد مذهب الشيعة من أصله، وأن اجتماع طائفته في القرون الماضية كان علي ضلالة، وأن رأيهم في النص علي إمام معين، والذي نازعوا من أجله أهل السنة طويلاً وكفروهم ـ أمر فاسد أثبت التاريخ والواقع فساده بوضوح تام؛ فهاهم يضطرون للخروج علي رأيهم بقولهم بـ: "عموم ولاية الفقيه" بعد أن تطاول عليهم الدهر، ويئسوا من خروج مَنْ يسمونه صاحب الزمان، فاستولوا حينئذٍ علي صلاحياته كلها، إن ولاية الفقيه خروج عن دعوى تعيين الأئمة، وحصرهم باثني عشر؛ لأن الفقهاء لا يحصرون بعدد معين، وهم غير منصوص علي أعيانهم، وهذا يعني أنهم عادوا لمفهوم الإمامة عند أهل السنة ـ إلي حد ما ـ لأنهم خرجوا من حصر الإمامة بالشخص وهو الإمام المنصوص عليه ـ بزعمهم ـ إلي حصرها بالنوع، وهو الفقيه الشيعي، وهم بذلك يُقرون بضلال أسلافهم، وفساد مذهبهم بمقتضى هذا القول، لكنهم يعدون هذا المبدأ ولاية الفقيه نيابة عن المهدي حتى يرجع، فهم لم يتخلوا عن أصل مذهبهم" (٣) .

---

(١) الحكومة الإسلامية، للخميني، ج١ ص٥٦ .

(٢) انظر: الحكومة الإسلامية، للخميني، ج١ ص١٥ وما بعدها .

(٣) مصطلحات في كتب العقائد، محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، ط: درا بن خزيمة، ج١ ص٢٤٩ .

"ومسألة حصر الأئمة بعدد معين مردودة بالكتاب والسنة، كما أنه لا يقبلها العقل ومنطق الواقع، إذ بعد انتهاء العدد المعين هل تظل الأمة بدون إمام؟، ولذلك فإن عصر الأئمة الظاهرين عند الاثني عشرية لا يتعدى قرنين ونصف قرن إلا قليلاً، وقد اضطر الشيعة للخروج عن حصر الأئمة بمسألة نيابة المجتهد عن الإمام، واختلف قولهم في حدود النيابة. وفي هذا العصر اضطروا للخروج نهائيًا عن هذا الأصل الذي هو قاعدة دينهم، فجعلوا رئاسة الدولة تتم عن طريق الانتخاب، ولكنهم خرجوا عن حصر العدد إلي حصر النوع فقصروا رئاسة الدولة علي الفقيه الشيعي" (١) .

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

الشيعة يبيعون الوهم للناس فمنذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة لم يتول إلا علي وأشهر للحسن وإلى الآن لم يتول أحد من باقي أئمتهم الاثنا عشر فأين هذه الإمامة المزعومة، فسدوا فراغها بولاية الفقيه، ويتحدث الخميني أنه يمكن لأي أحد أن يقوم بإمامة المسلمين شريطة أن يتوفر فيه العلم والعدالة قال ذلك بعدما طالت غيبة الإمام فملأ هذا الفراغ، فرأي أن الإنسان الكفء يمكن القيام بهذه المهمة وهذا دليل علي عدم الاحتياج لهذا الغائب .

يقول الخميني: "والآن في عصر غيبة الإمام وحيث قد تقرر أن أحكام الإسلام ذات الارتباط بالحكم باقية ومستمرة، وأن الفوضى أمر غير جائز، فيكون تشكيل الحكومة أمراً واجبًا. والعقل يحكم بلزوم تشكيل الأجهزة أيضًا لتأمين القدرة علي الدفاع فيما لو هوجمنا .. والآن حيث لم يُعيَّن شخص محدد من قبل الله عز وجل للقيام بأمر الحكومة في زمن الغيبة، فما هو التكليف؟ هل يجب التخلي عن الإسلام؟ هل صرنا بغنى عنه؟ وهل كان الإسلام لمدة مائتي سنة فقط؟ أم أن الإسلام حدد التكليف، لكن ليس علينا من تكاليف تتعلق بالحكومة؟ إن معنى عدم وجود حكومة هو زوال جميع حدود وثغور المسلمين، وجلوسنا متفرجين تاركين للغير أن يعملوا ما يشاءون، وإذا لم نمض أعمالهم فعلي الأقل لا نقف بوجهها! فهل هكذا يجب أن يكون الوضع؟

---

(١) أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية ـ عرض ونقد ـ ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، ج٢ ص٦٧٢ .

أم أن الحكومة واجبة، ولئن كان الله تعالي لم يعين شخصا معينا للحكومة في زمن الغيبة، لكن تلك الصفات التي كانت شرطا في الحاكم، من صدر الإسلام إلي زمن الإمام صاحب الزمان هي كذلك لزمان الغيبة أيضـًا. وهذه الصفات التي هي عبارة عن: العلم بالقانون والعدالة، موجودة في عدد لا يحصى من فقهاء عصرنا، لو اجتمعوا مع بعضهم لاستطاعوا إقامة حكومة العدل الشامل في العالم، فلو قام الشخص الحائز لهاتين الخصلتين بتأسيس الحكومة تثبت له نفس الولاية التي كانت ثابتة للرسول الأكرم، ويجب علي جميع الناس طاعته، وتوهم أن صلاحيات النبي في الحكم كانت أكثر من صلاحيات أمير المؤمنين وصلاحيات أمير المؤمنين أكثر من صلاحيات الفقيه، هو توهم خاطئ وباطل. نعم إن فضائل الرسول بالطبع هي أكثر من فضائل جميع البشر، لكن كثرة الفضائل المعنوية لا تزيد في صلاحيات الحكم. فنفس الصلاحيات التي كانت للرسول والأئمة في تعبئة الجيوش، وتعيين الولاة والمحافظين، واستلام الضرائب وصرفها في مصالح المسلمين، قد أعطاها الله تعالي للحكومة المفترضة هذه الأيام. غاية الأمر لم يعين شخصـًا بالخصوص، وإنما أعطاه العنوان العالم العادل" [١] .

"فالأئمة قد انتهي وجودهم الفعلي منذ عام ٢٦٠هـ .. ولم يبق إلا الانتظار للغائب الموعود" [٢]

.

(١) الحكومة الإسلامية، للخميني، ج١ ص٥٠، مرجع سابق .

(٢) أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية ـ عرض ونقد ـ، ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، ط: بدون،الطبعة: الأولي، ١٤١٤ هـ، ج٣ ص٨٠٠ .

المطلب السابع

أقوال العلماء في كذب الشيعة

يتحدث العلماء عن كذب الشيعة فيقول ابن حزم: "وَأما سَائِر الْأَحَادِيث الَّتِي تتَعَلَّق بهَا الرافضة فموضوعة يعرف ذَلِك من لَهُ أدنى علم بالأخبار ونقلتها" (١) .

وقال الذهبي: "نَحن ننقد رجالنا من أهل السّنة والْحَدِيث نَقْدا لَا مزِيد عَلَيْهِ وَلنَا مصنفات كَثِيرَة جدا فِي تعديلهم وضعفهم وَصدقهمْ وغلطهمْ وكذبهم ووهمهم لَا نحابيهم أصلا مَعَ صَلَاحهمْ وعبادتهم ونسقط الاحتجاج بِالرجلِ مِنْهُم لِكَثْرَة غلطه وَسُوء حفظه وَلَو كَانَ من أَوْلِيَاء الله وَأَنْتُم حد الثِّقَة عنْدكُمْ أَن يكون إمامياً سَوَاء غلط أَو حفظ أَو كذب أَو صدق... وكذب الرافضة مِمَّا يضْرب بِهِ الْمثل" (٢) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وَقَدْ رَأَيْنَا فِي كُتُبِهِمْ مِنْ الْكَذِبِ وَالِافْتِرَاءِ علي النَّبِيِّ ﷺ وَصَحَابَتِهِ وَقَرَابَتِهِ رضي الله عنهم أَكْثَرَ مِمَّا رَأَيْنَا مِنْ الْكَذِبِ فِي كُتُبِ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ"(٣).

وحدث ابن بطة قال "حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي حَرْمَلَةُ قَالَ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: «لَمْ أَرَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ أَكْذَبَ فِي الدَّعْوَى، وَلَا أَشْهَدَ بِالزُّورِ

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، ط: مكتبة الخانجي، القاهرة، ج٤ ص ١٦٦ .

(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: محب الدين الخطيب، ج١ ص٤٨٠ .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ٢٨/ ٤٨٢ .

مِنَ الرَّافِضَةِ» [١].

وهناك ما يدل علي أن من الشيعة من يستبشع رواياتهم، ولكن يلزمون بالإيمان الأعمى بها.

فعن سفيان بن السمط قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك إن رجلاً يأتينا من قبلكم يعرف بالكذب فيحدث بالحديث فنستبشعه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: يقول لك: إني قلت لليل: إنه نهار، أو للنهار: إنه ليل ؟ قال: لا. قال: فإن قال لك هذا إني قلته فلا تكذب به، فإنك إنما تكذبني " [٢] .

وقد اهتم بهذه القضية صاحب البحار وذكر لها من أحاديثهم في باب عقده بعنوان: "باب أن حديثهم عليهم السلام صعب مستصعب، وأن كلامهم ذو وجوه كثيرة وفضيلة التدبر في أخبارهم عليهم السلام والتسليم لهم والنهي عن رد أخبارهم" [٣] .

وهذا هو الذي ساعد علي تفشي تلك الروايات الأسطورية، وغياب الصوت العاقل الذي يجهر بالحق، وهو قريب من موقف الصوفية الذي يطالب فيه الشيوخ مريديهم بالتسليم لهم .

ويمهد الكليني في الكافي لغيبة المهدي بأنه لطول غيبته سوف يتشكك الناس حتى لا يرتاب الشيعة نظرا لغيبته الطويلة .

فجاء في الكافي "عن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن للغلام غيبة قبل أن يقوم، قال: قلت ولم؟ قال: يخاف - وأومأ بيده إلي بطنه - ثم قال: يا زرارة وهو المنتظر، وهو الذي يشك

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (المتوفى: ٣٨٧هـ)، المحقق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري ط: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ج٢ ص٥٤٥ .

(٢) بحار الأنوار، الشيخ/ محمد باقر المجلسي، ط: مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ج٢ ص٢١٢ .

(٣) بحار الأنوار، الشيخ/ محمد باقر المجلسي، ط: مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ج٢ ص١٨٢ .

في ولادته، منهم من يقول: مات أبوه بلا خلف ومنهم من يقول: حمل ومنهم من يقول: إنه ولد قبل موت أبيه بسنتين، وهو المنتظر غير أن الله عَزَّ وَجَلَّ يحب أن يمتحن الشيعة، فعند ذلك يرتاب المبطلون" (١) .

وجاءت رواية أخرى تكذب هذه الرواية فذكر الكليني بسنده عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: "وقد علم أن أولياءه لا يرتابون، ولو علم أنهم يرتابون ما غيب حجته عنهم طرفه عين" (٢) .

وقد عقد الكليني بابًا بعنوان: "الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يعلمون متى يموتون، وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم، وجاء فيه "عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: أي إمام لا يعلم ما يصيبه وإلي ما يصير، فليس ذلك بحجة لله علي خلقه" (٣).وهذا مخالف لقوله تعالي: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ (٤).

وروى الكليني بسنده عن أبي بصير قال: دخلت علي أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ فقلت له: جعلت فداك إني أسألك عن مسألة"... ثم قال: وإن عندنا لمصحف فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ وما يدريهم ما مصحف فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ ؟ قال: قلت: وما مصحف فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ ؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، قال: قلت: هذا والله العلم...الخ (٥) .

---

(١) الكافي، الكليني، ج١ ص٤٩٩ .

(٢) الكافي، الكليني، ج١ ص٤٩٢ .

(٣) الكافي، الكليني، ج١ ص٣٨١ .

(٤) سورة لقمان، (٣٤) .

(٥) الكافي، الكليني، ج١ ص٥٣ .

"فهل كان الرسول ﷺ يعرف مصحف فاطمة؟! إن كان لا يعرفه، فكيف عرفه آل البيت من دونه وهو رسول الله؟! وإن كان يعرفه فلماذا أخفاه عن الأمة؟! والله يقول: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ (١) .

والنصوص التي نقلها الشيعة عن علماء أهل السنة ربما أوردها المؤلف علي سبيل الرد عليها، وليس علي سبيل الاحتجاج لكنهم ينقلونها علي سبيل الاحتجاج، أو يذكرون اسما فيه تشابه بين علمائهم وعلماء أهل السنة ويلبسون علي الناس. يقول الألوسي: " ومن مكائدهم أنهم ينظرون في أسماء الرجال المعتبرين عند أهل السنة، فمن وجدوه موافقا لأحد منهم في الاسم واللقب أسندوا رواية حديث ذلك الشيعي إليه، فمن لا وقوف له من أهل السنة يعتقد أنه إمام من أئمتهم فيعتبر بقوله ويعتد بروايته، كالسدي فإنهما رجلان أحدهما السدي الكبير(٢)، والثاني السدي الصغير(٣)، فالكبير من ثقات أهل السنة، والصغير من الوضاعين الكذابين وهو رافضي غال، وعبد الله بن قتيبة رافضي غالٍ، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة (٤) من ثقات أهل السنة، وقد صنف كتابا سماه بالمعارف، فصنف ذلك الرافضي كتابا وسماه بالمعارف أيضا قصدا للإضلال... ومن مكائدهم أنهم يذكرون أحد علماء المعتزلة أو الزيدية أو نحو ذلك، ويقولون إنه من متعصبي أهل السنة، ثم ينقلون عنه ما يدل علي بطلان مذهب أهل السنة وتأييد مذهب الإمامية

---

(١) سورة المائدة، الآية (٦٧) .

(٢) من المفسرين شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج٧٩ ص٤٠، المشهورين بالرواية، قال الحافظ ابن حجر: «مقارب الحديث»، توفي سنة ١٢٧هـ. طبقات ابن سعد، ٦/ ٣٢٣؛ تهذيب التهذيب: ١/ ٣٧٣.

(٣) هو محمد بن مروان السدي الكوفي، قال البخاري: «لا يكتب حديثه البتة»، وقال النسائي: «متروك الحديث»، وقال الذهبي: «تركوه واتهمه بعضهم بالكذب»، مات سنة ١٨٩هـ. تاريخ بغداد، ٣/ ٢٩١؛ ميزان الاعتدال: ٦/ ٣٢٨؛ شذرات الذهب: ١/ ٣٢٥.

(٤) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، من علماء الحديث، له تصانيف، توفي سنة ٢٧٦. سير أعلام النبلاء، ١٣/ ٢٩٦.

الاثني عشرية ترويجا لضلالهم، كالزمخشري [١] صاحب (الكشاف) الذي كان معتزليًا تفضيليًا، والأخطب الخوارزمي [٢] فإنه زيدي غال، وابن قتيبة صاحب المعارف الذي هو رافضي عنيد، وابن أبي الحديد شارح (نهج البلاغة) الذي هو من الغلاة علي قول، ومن المعتزلة علي قـــول آخـــر، وهشام الكلبي [٣] الذي هو من الغلاة، وكذلك المسعودي [٤] صاحب (مروج الذهب) وأبو الفرج الأصفهاني[٥] صاحب (الأغاني) وغيرهم، وقصدوا بذلك إلزام أهل السنة بما لهم من الأقوال، مع أن حالهم لا تخفي حتى علي الأطفال" [٦] .

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

(١) ولد سنة ٤٦٧ هـ بزمخشر قرى خوارزم، وقدم بغداد وسمع، قال ابن خلكان: «كان إمام عصره وكان متظاهرا بالاعتزال، وله تصانيف بديعة»، وقال عنه السيوطي: «اللغوي المتكلم المعتزلي المفسر»، مات سنة ٥٨٣هـ. وفيات الأعيان، ٥/ ١٦؛ طبقات المفسرين، ص ١٢٠ .

(٢) كان من غلاة الزيدية، وعده الإمامية من رجالهم فذكره الخونساري، قال الذهبي في ترجمة محمد بن أحمد بن علي بن شاذان: «لقد ساق خطيب خوارزم من طريق هذا الدجال ابن شاذان أحاديث كثيرة باطلة سمجة ركيكة في مناقب علي ﷺ»، مات الأخطب الخوارزمي سنة ٥٦٧هـ. ميزان الاعتدال، ٦/ ٥٥؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص ٤٠١ .

(٣) هشام بن محمد بن أبي النضر بن السائب الكلبي، أبو المنذر، مؤرخ وعالم بالنسب وأخبار العرب وأيامها، قال عنه الإمام أحمد: «كان صاحب سمر ونسب ما ظننت أن أحدا يحدث عنه»، وقال ابن عساكر: «رافضي ليس بثقة». مات سنة ٢٠٤هـ. الفهرست، ١٤٠؛ وفيات الأعيان، ٤/ ٣٠٩.

(٤) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي من ذرية ابن مسعود، قال عنه الذهبي: «كان أخباريا صاحب ملح وغرائب وعجائب وفنون، وكان معتزليًا»، مات سنة ٣٤٥هـ. سير أعلام النبلاء، ١٥/ ٥٦٩ .

(٥) أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأموي الأصبهاني، اشتهر بكتابه الأغاني، كان من أهل الأدب والأنساب والسير، اشتهر بتشيعه وكان يأتي بأعاجيب علي قول الذهبي، مات سنة ٣٥٦هـ. وفيات الأعيان، ٣/ ٣٠٧؛ ميزان الاعتدال: ٥/ ١٥١ .

(٦) مختصر التحفة الاثني عشرية ألّف أصله باللغة الفارسية: علامة الهند شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي اختصره وهذبه: (سنة ١٣٠١ هـ) علامة العراق محمود شكري الألوسي حققه وعلق حواشيه: محب الدين الخطيب، ط: المطبعة السلفية، القاهرة، عام النشر: ١٣٧٣هـ، ج١ ص٣٥١ .

ومثال ذلك ما جاء في بحار الأنوار: "وروت العامة عن إبراهيم بن الحكم، عن أبيه، عن السدي، عن ابن عباس: فرسول الله صلي الله عليه وآله جاء بالصدق وعلي صدق به" [١] .

وإذا رجعنا إلي كتب التفسير لم نجد السدي روى هذا ففي الطبري قال السدي: "فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ [٢] «مُحَمَّدٌ صَلي اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» [٣] .

وفي ابن كثير: "وَقَالَ السُّدِّيُّ: هُوَ جِبْرِيلُ عليه السلام، "وَصَدَّقَ بِهِ" يَعْنِي: مُحَمَّدًا ﷺ"[٤] فأي سدى يقصدون بل إن علياً روى أن الذي صدق به هو أبو بكر رضي الله عنه قال ابن جرير "حدثني أحمد بن منصور، قال: ثنا أحمد بن مصعد المروزي، قال: ثنا عمر بن إبراهيم بن خالد، عن عبد الملك بن عمير، عن أسيد بن صفوان، عن عليّ رضي الله عنه، في قوله: "وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ" قال: محمد ﷺ، وصدّق به، قال: أبو بكر رضي الله عنه" [٥] .

ومثال ذلك ما قالوه عن الشهرستاني قال صاحب البحار: "وممن ذكر ذلك محمد الشهرستاني حيث قال في أثناء بيان أحوال اليهود: إن الأمر كان مشتركا بين موسى عليه السلام وبين أخيه هارون إذ قال: "وأشركه في أمري" وكان هو الوصي، فلما مات هارون في حياته انتقلت الوصاية إلي يوشع وديعة ليوصلها إلي شبير وشبر ابني هارون عليهما السلام قرارا، وذلك أن الوصية والإمامة

(١)بحار الأنوار، الشيخ/ محمد باقر المجلسي، ط: مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ج٣٤ ص٤٠٧ .

(٢) سورة الزمر، (٣٣) .

(٣) تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، الدكتور/ عبد السند حسن يمامة،ط: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ج٢٠ ص٢٠٥ .ج

(٤) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، ط: دار طيبة للنشر، ج٣١ ص٩٩ .

(٥) تفسير الطبري، ج٧ ص٢٩٠ .

بعضها مستقر وبعضها مستودع" (١) وإذا عدنا إلي الملل وجدنا أن الشهرستاني ذكر ذلك علي سبيل الزعم بدليل أنه أورد هذا الخبر بقوله قالوا وبعد هذا قال "واليهود تدعي أن الشريعة لا تكون إلا واحدة، وهي ابتدأت بموسى عليه السلام وتمت به.....الخ (٢) .

يقول الشيخ الألباني: "فقد وقفت علي رسالة لبعضهم وهو المدعو السيد عبد الرضا المرعشلي الشهرستاني بعنوان " السجود علي التربة الحسينية ". ومما جاء فيها: "وورد أن السجود عليها أفضل لشرفها وقداستها وطهارة من دفن فيها... ولم يكتف مؤلف الرسالة بتسويدها بمثل هذه النقول المزعومة علي أئمة البيت حتى راح يوهم القراء أنها مروية مثلها في كتبنا نحن أهل السنة، فها هو يقول: "وليس أحاديث فضل هذه التربة الحسينية وقداستها منحصرة بأحاديث الأئمة عليهم السلام، إذ أن أمثال هذه الأحاديث لها شهرة وافرة في أمهات كتب بقية الفرق الإسلامية عن طريق علمائهم ورواتهم، ومنها ما رواه السيوطي في كتابه "الخصائص الكبرى" في "باب إخبار النبي ﷺ بقتل الحسين عليه السلام، وروى فيه ما يناهز العشرين حديثاً عن أكابر ثقاتهم كالحاكم، والبيهقي، وأبي نعيم والطبراني والهيثمي في "المجمع" وأمثالهم من مشاهير رواتهم" فاعلم أيها المسلم أنه ليس عند السيوطي ولا الهيثمي ولو حديث واحد يدل علي فضل التربة الحسينية وقداستها، وكل ما فيها مما اتفقت عليه مفرداتها إنما هو إخباره ﷺ بقتله فيها..، ولكن الشيعة في سبيل تأييد ضلالاتهم وبدعهم يتعلقون بما هو أوهي من بيت العنكبوت" (٣) .

قال ابن أبى الحديد وهو شيعي معتزلي: "فأما الأمور المستبشعة التي تذكرها الشيعة من إرسال

---

(١) بحار الأنوار، الشيخ/ محمد باقر المجلسي، ط: مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ج٢٧ ص٢٨٩ .

(٢) الملل والنحل، ج٢ ص١٦، مرجع سابق .

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، ط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولي، (لمكتبة المعارف)، ج٢ ص١٦٣ .

قنفذ إلي بيت فاطمة، وأنه ضربها بالسوط، فصار في عضدها كالدملج، وأن عمر ضغطها بين الباب والجدار، فصاحت: يا أبتاه وجعل في عنق علي حبلاً يقاد به، وفاطمة خلفه تصرخ، وابناه الحسن والحسين يبكيان ... فكل ذلك لا أصل له عند أصحابنا، ولا يثبته أحد منهم، ولا رواه أهل الحديث ولا يعرفونه، وإنما هو شيء تنفرد الشيعة بنقله" (١) .

ولقد أخذ هؤلاء يضعون الأحاديث ومن ذلك أحاديث وضعوها في فضائل الإمام علي ومن ذلك ما ذكره المجلسي فقال: "وذكر البغوي في الصحاح: أنا دار الحكمة وعلي بابها" (٢) وبين السخاوي في المقاصد أنه موضوع (٣) .

ناهيك عن اتخاذ التقية دينا إلا في النبيذ والمسح علي الخفين روى الكليني "عن أبي عمر الأعجمي قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا عمر إن تسعة أعشار الدين في التقية ولا دين لمن لا تقية له والتقية في كل شيء إلا في النبيذ والمسح علي الخفين" (٤).

والتقية عند أهل السنة تكون مع الكفار وعند اتقاء الشر يقول ابن تيمية "وَفَرْقٌ بَيْنَ الْكَذِبِ وَبَيْنَ الْكِتْمَانِ. فَكِتْمَانُ مَا فِي النَّفْسِ يَسْتَعْمِلُهُ الْمُؤْمِنُ حَيْثُ يَعْذُرُهُ اللهُ فِي الْإِظْهَارِ، كَمُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ. وَأَمَّا الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِالْكُفْرِ، فَلَا يَعْذُرُهُ إِلَّا إِذَا أُكْرِهَ. وَالْمُنَافِقُ الْكَذَّابُ لَا يُعْذَرُ بِحَالٍ، وَلَكِنْ فِي

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج٩٧ ص٤٠ .

(٢) بحار الأنوار، الشيخ/ محمد باقر المجلسي " قدس الله سره "، ط: مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ج٢٢ ص١٤٤ . شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج٩٧ ص٤٠ .

(٣) هذا الحديث رواه الترمذي وقال هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مُنْكَرٌ وقال صاحب المقاصد"قال الدارقطني في العلل عقب ثانيهما: إنه حديث مضطرب غير ثابت، وقال الترمذي: إنه منكر، وكذا قال شيخه البخاري، وقال: إنه ليس له وجه صحيح، وقال ابن معين فيما حكاه الخطيب في تاريخ بغداد: إنه كذب لا أصل له" المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة علي الألسنة، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٠هـ)، المحقق: محمد عثمان الخشت، ط: دار الكتاب العربي، بيروت، ج١ ص١٧٠ .

(٤) الكافي، الكليني، ج٢ ص٣١٣ .

الْمَعَارِيضِ مَنْدُوحَةٌ عَنِ الْكَذِبِ... وَأَمَّا الرَّافِضِيُّ فَلَا يُعَاشِرُ أَحَدًا إِلَّا اسْتَعْمَلَ مَعَهُ النِّفَاقَ، فَإِنَّ دِينَهُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ دِينٌ فَاسِدٌ، يَحْمِلُهُ عَلي الْكَذِبِ وَالْخِيَانَةِ، وَغِشِّ النَّاسِ، وَإِرَادَةِ السُّوءِ بِهِمْ، فَهُوَ لَا يَأْلُوهُمْ خَبَالًا، وَلَا يَتْرُكُ شَرًّا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا فَعَلَهُ بِهِمْ" (١) .

علماء الشيعة يعرفون الحقيقة:

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

هناك نصوص متناثرة في كتب الشيعة وردت عن الإمام علي يتبرأ فيها من الغلو في آل البيت، وعلماؤهم يعرفونها لكن يصرون علي الغلو فيهم.

فقد جاء في كتب الشيعة الرافضة التحذير من الغلو وبراءة آل البيت من ذلك، فقد روى المجلسي بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: إياكم والغلو فينا، قولوا إنا عبيد مربوبون" (٢) .

وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: "اللهم إني بريئ من الغلاة كبراءة عيسى ابن مريم من النصارى، اللهم اخذلهم أبدًا، ولا تنصر منهم أحدًا" (٣) .

روى الكليني بسنده عن سديد قال: كنت أنا وأبو بصير ويحيى البزار وداود بن كثير في مجلس أبي عبد الله إذ خرج إلينا وهو مغضب، فلما أخذ في مجلسه قال: يا عجبًا لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلا الله عز وجل. لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت مني فما علمت في أي بيوت الدار هي" (٤) .

(١) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد رشاد سالم، ط: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الطبعة، الأولي، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م، ج٦ ص٤٢٥ .

(٢) بحار الأنوار، (٢٥/ ٢٧٠) .

(٣) بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، ط: مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ج٢٥ ص٢٦٦ .

(٤) بحار الأنوار، ج٢٥ص ٢٨٤ .

"وعن ابن المغيرة، قال: كنت عند أبي الحسن عليه السلام، أنا ويحيى بن عبد الله بن الحسن، فقال يحيى: جعلت فداك، إنهم يزعمون أنك تعلم الغيب، فقال: سبحان الله، ضع يدك علي رأسي، فو الله ما بقيت في جسدي شعرة، ولا في رأسي إلا قامت، قال: ثم قال: لا والله، ما هي إلا رواية عن رسول الله صلي الله عليه وآله " .

وعن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنهم يقولون، قال: وما يقولون قلت: يقولون تعلم قطر المطر، وعدد النجوم، وورق الشجر، ووزن ما في البحر، وعدد التراب، فرفع يده إلي السماء وقال: سبحان الله سبحان الله، لا والله، ما يعلم هذا إلا الله " (١) .

فهذه أقوال أئمة آل البيت الطيبين الطاهرين، كما صرحت بذلك كتب الشيعة الرافضة وهم براء مما ترميهم به الشيعة الرافضة، إذ الرافضة من أكذب خلق الله، فالنفاق دينهم والكذب ديدنهم .

والخميني بطريقة غير مباشرة غير مقتنع بموضوع إرث الإمامة فيقول: "والآن حيث لم يُعيَّن شخص محدد من قبل الله عز وجل للقيام بأمر الحكومة في زمن الغيبة، فما هو التكليف؟ هل يجب التخلي عن الإسلام؟ هل صرنا بغنى عنه؟ وهل كان الإسلام لمدة مائتي سنة فقط؟" (٢) .

الإسناد عند الشيعة:

في كتاب الكافي وهو صحيح عند الشيعة نجد كثيرا في إسناده انقطاع مثل: وحدثني شيخ من أصحابنا ـ ذهب عني اسمه، أو يقول أخبرني جماعة، أو عن عدة من أصحابنا وغير ذلك وهذا كله سند منقطع (٣)، أو يروون عن المجاهيل أو عن المختلف فيهم، فرواية ضرب فاطمة مثلا

---

(١) معجم رجال الحديث، السيد ابو القاسم الموسوى الخوئي، ج١٥ ص ١٩٧ .

(٢) الحكومة الإسلامية، للخمينى، ج١ ص٥٠ .

(٣) روى مسلم حديثا بنحو هذ لكنه متابعا فقال: وَحَدَّثَنَا عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، أَخْبَرَنَا أَبُو غَسَّانَ وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مُطَرِّفٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، نَحْوَهُ،باب:اتباع سنن اليهود والنصارى، ج٤

حتى أسقطت محسنا رواها جابر الجعفي عن أبي عمار بن ياسر قال "وحملت بالحسن، فلما رزقته حملت بعد أربعين يوما بالحسين، ورزقت زينب وأم كلثوم، وحملت بمحسن، فلما قبض رسول الله (صلي الله عليه وآله)، وجرى ما جرى في يوم دخول القوم عليها دارها، وإخراج ابن عمها أمير المؤمنين (عليه السلام)، وما لحقها من الرجل أسقطت به ولدا تماما، وكان ذلك أصل مرضها ووفاتها (صلوات الله عليها) (١) .

هذه الرواية رواها جابر الجعفي قال عنه ابن عدى في الكامل عن أبى يَحْيى الحماني يَقُولُ: سَمعتُ أبا حنيفة يَقُولُ ما رأيت فيمن رأيت أفضل من عطاء، ولاَ لقيت فيمن لقيت أكذب من جَابِر

ص٢٠٥٥ . وحديث البخارى بنحو هذا فقال: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ حُصَيْنٍ، عَنْ فُلَانٍ قَالَ: تَنَازَعَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَحِبَّانُ بْنُ عَطِيَّةَ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، لِحِبَّانَ: لَقَدْ عَلِمْتُ مَا الَّذِي جَرَّأَ صَاحِبَكَ علي الدِّمَاءِ، يَعْنِي عَلِيًّا، قَالَ: مَا هُوَ لَا أَبَا لَكَ؟ قَالَ: شَيْءٌ سَمِعْتُهُ يَقُولُهُ، قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلي اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالزُّبَيْرَ وَأَبَا مَرْثَدٍ، وَكُلُّنَا فَارِسٌ، قَالَ: " انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ حَاجٍ،لكنه وصله في مكان آخر وفعل هذا هنا طلبا للاختصار فقال"حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ إِدْرِيسَ، قَالَ: سَمِعْتُ حُصَيْنَ بْنَ عَبْدِ === === الرَّحْمَنِ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلي اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا مَرْثَدٍ الغَنَوِيَّ، وَالزُّبَيْرَ بْنَ العَوَّامِ، وَكُلُّنَا فَارِسٌ، قَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنَ المُشْرِكِينَ،...الحديث ج٥ ص ٧٧ ويدلس في اسم شيخه محمد بن يحي الذهلي شيخ نيسابور لأنه اتهمه بالقول بخلق القرآن فلم يترك حديثه قال === === الذهبي" وَمُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيْلَ البُخَارِيُّ، وَيُدَلِّسُهُ كَثِيْراً، لاَ يَقُوْلُ: مُحَمَّدُ بنُ يَحْيَى، بَلْ يَقُوْلُ: مُحَمَّدٌ فَقطْ، أَوْ مُحَمَّدُ بنُ خَالِدٍ، أَوْ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ يَنْسِبُهُ إِلي الجَدِّ، وَيُعمِّي اسْمَهُ لِمَكَانِ الوَاقِعِ بَيْنَهُمَا، غفرَ اللهُ لَهُمَا" السير ج١٢ ص٢٧٥.

وكذلك في مسند أبى عوانة فيقول: حَدَّثَنَا جَمَاعَةٌ، عَنْ أَبِي عَاصِمٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، بِمِثْلِهِ لكنه يرويه عن طريق المتابعة ج٢ ص٧٧... وهكذا .

(١) دلائل الإمامة، أبي جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري الصغير (الشيعي)، تحقيق:قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، سلسلة الكتب العقائدية (١٨٤)، إعداد: مركز الأبحاث العقائدية، ج٨ ص٩.

الجعفي ما أتيته قط بشَيْءٍ من رأيه إلا جاءني فيه بحديث وزعم أن عنده كذا وكذا ألف حديث عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لم يظهرها" (١) .

لكن الشيعة توثقه فعن ذريح المحاربي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن جابر الجعفي وما روى فلم يجبني، وأظنه قال : سألته بجمع فلم يجبني ، فسألته الثالثة فقال لي يا ذريح دع ذكر جابر، فإن السفلة إذا سمعوا بأحاديثه شنعوا، أو قال أذاعوا" (٢) .

وهذه الرواية أسقطها ابن أبى الحديد وهو شيعي معتزلي قال: "فأما الأمور المستبشعة التي تذكرها الشيعة من إرسال قنفذ إلي بيت فاطمة، وأنه ضربها بالسوط، فصار في عضدها كالدملج، وأن عمر ضغطها بين الباب والجدار، فصاحت: يا أبتاه وجعل في عنق علي حبلاً يقاد به، وفاطمة خلفه تصرخ، وابناه الحسن والحسين يبكيان ... فكل ذلك لا أصل له عند أصحابنا، ولا يثبته أحد منهم، ولا رواه أهل الحديث ولا يعرفونه، وإنما هو شيء تنفرد الشيعة بنقله" (٣) .

خالص القول:

وخلاصة ما يريد أن يقوله الشيعة أن الصحابة تمالئوا علي آل البيت وغصبوا حقهم .

والتشكيك في صحابة النبي ﷺ اتهام له عليه الصلاة والسلام أنه لم يحسن اختيار ولا تربية أصحابه الذين انقلبوا عليه وخالفوه بزعم الشيعة، ولو أن شخصا في دنيا الناس كل أصحابه بهذه الصورة لقال الناس عنه إنه مثلهم واتهموه .

---

(١) الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد بن عدي الجرجاني (المتوفى: ٣٦٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط: الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولي، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ج٢ص٣٢٧ .

(٢) معجم رجال الحديث، السيد أبو القاسم الموسوى الخوئي، ج٤ ص٣٤٤ .

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج٧٩ ص٤٠ .

فقالوا: "وَأَن الْأمة بأسرها من الطَّبَقَة الأولي بَايعُوا أَبَا بكر الصّديق ﷺ فَكَفرُوا وَارْتَدوا وزاغوا عَن الدّين وَأَن الْقُرْآن نسخ وَصعد بِهِ إِلي السَّمَاء لردتهم وَأَن السّنة لَا تثبت بنقلهم إِذْ هم كفار وَأَن الْقُرْآن الَّذِي فِي أَيدي النَّاس قد انْتقل وَوضع أَيَّام عُثْمَان وأحرق الْمَصَاحِف الَّتِي كَانَت قبل وَأَن الْأمة قد داهنت وغيرت وبدلت وَنَافَقَتْ لأحقاد كَانَت لعلي فيهم من قَتله آبَاءَهُم وعشيرتهم مَعَ النَّبِي ﷺ فِي غَزَوَاته وَأَن أَبَا بكر الصّديق ﷺ وعمر وَعُثْمَان وَطَلْحَة وَالزُّبَيْر وَعَائِشَة رَضِي الله عَنْهُم أَجْمَعِينَ عِنْدهم من شَرّ الْأمة وأكفرها يلعنوهم ويتبرؤون مِنْهُم وَأَنه مَا بَقِي مَعَ على علي الْإِسْلَام إِلَّا أَرْبَعَة سلمَان وعمار وَأَبُو ذَر والمقداد بن الْأسود وَأَن أَبَا بكر مر بفاطمة عَلَيْهَا السَّلَام فرفس فِي بَطنهَا فَأَسْقطت وَكَانَ سَبَب علتها وموتها وَأَنه غصبهَا فدك وغيرها من المخاريق والأباطيل والزور الَّتِي لَا تجوز عِنْد الْعلمَاء وَلَا تخفي إِلَّا علي أهل الْعَمى والغباء" .

"وَيُقَال لَهُم قَالَ الله عز وجل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾[1] فَمن أَيْن قُلْتُمْ أَنْتُم إِنَّهُم غيروا وبدلوا وَكَفرُوا وَالله يمدحهم بِهَذَا المديح ويصفهم بِوَصْف الْإِيمَان وَقَالَ عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ﴾[2] فَكَانَ أَبُو بكر الصّديق وَالَّذين مَعَه قَاتلُوا أهل الرِّدَّة حَتَّى رجعُوا إِلي الدّين بعد وَفَاة النَّبِي ﷺ وَقَالَ الله عز وجل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ

(١) سورة التوبة، الآية (١٠٠) .

(٢) سورة المائدة، الآية (٥٤) .

بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗا ﴾[١] فمكن بِحَمْدِهِ بعد وَفَاة رَسُول الله ﷺ خلفاءه وَأمته فِي أرضه يعبدونه لَا يشركُونَ بِهِ شَيْئا وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[٢] فَكيف قُلْتُمْ إِن الْأمة كفرت بعد رسولها وارتدت وغيرت وبدلت وَالله أظهر بهم حجَّته على الْأَدْيَان كلهَا فَمَا من دين إِلَى يَوْم الْقِيَامَة إِلَّا وَالْإِسْلَام ظَاهر عَلَيْهِ وَقد ظهر عَلَيْهِ وأكد حجَّته عَلَيْهِ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ" [٣] .

وقَالَ مَالك بن مغرور قَالَ عَامر بن شرَاحِيل الشّعبِيّ يَا مَالك تفاضلت الْيَهُود وَالنَّصَارَى على الرافضة بخصلة سُئِلت الْيَهُود من خير أهل ملتكم فَقَالُوا أَصْحَاب مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وسئلت النَّصَارَى من خير أهل ملتكم فَقَالُوا حوارِي عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وسئلت الرافضة من شَرّ أهل ملتكم فَقَالُوا أَصْحَاب مُحَمَّد ﷺ أمروا بالاستغفار لَهُم فسبوهم فالسيف عَلَيْهِم مسلول إِلَى يَوْم الْقِيَامَة لَا تقوم لَهُم راية وَلَا يثبت لَهُم قدم وَلَا تَجْتَمِع لَهُم كلمة كلما أوقدوا نَارا للحرب أطفأها الله بسفك دِمَائِهِمْ وتفريق شملهم وإدحاض حججهم أعاذنا الله وَإِيَّاكُم من الْأَهْوَاء المضلة" [٤]

.

---

(١) سورة النور، الآية (٥٥) .

(٢) سورة التوبة، الآية (٣٣) .

(٣) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين المَلَطي العسقلاني (المتوفى: ٣٧٧هـ)، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، ط: المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ج ١ ص٢٥ .

(٤) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: ٩٧٤هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي، كامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ج٢ ص٧١٤ .

قال أحمد الكسروي الإيراني والشيعي الأصل: وأما ما قالوا من ارتداد المسلمين بعد موت النبي ﷺ فاجتراء منهم علي الكذب والبهتان، فلقائل أن يقول: كيف ارتدوا وهم كانوا أصحاب النبي ﷺ آمنوا به حين كذبه الآخرون، ودافعوا عنه واحتملوا الأذى في خلافة أبي بكر ليرتدوا عن دينهم لأجله؟ فأي الأمرين أسهل احتمالاً: أكذب رجلاً أو رجلين من ذوي الأغراض الفاسدة ـ يقصد ابن سبأ ـ، أو ارتداد بضع مئات من خُلص المسلمين؟ فأجيبونا إن كان لكم جواب "[(١)].

و" يُقَال لَهُم أخبرونا عَن قَول الله تَعَالي وتبارك: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾[(٢)] هَل أكمل الله دينه فِي حَيَاة رَسُول الله ﷺ أَو بعده أَو الْيَوْم الَّذِي أنزل هَذِه الْآيَة فِيهِ فَإِن قَالُوا لَا مَا أكمل الله دينه قطّ ظهر جهلهم وكفرهم وَإِن قَالُوا بل أكمل الله لَهُم الدّين وَأتم عَلَيْهِم النِّعْمَة فِي حَيَاة النَّبِي عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام فَلَمَّا مَاتَ النَّبِي عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام غيروا وبدلوا وخذلهم الله وَنسخ الْقُرْآن مِنْهُم وسلبهم الدّين يُقَال لَهُم هَذَا دَعْوَى مِنْكُم بِلَا حجَّة ..ويُقَال لَهُم هَذَا مُحكم الْقُرْآن لَا متشابه فِيهِ فَكيف تَقولُونَ أَنْتُم فِيهِ فَإِن قَالُوا هُوَ صدق وَهُوَ قُرْآن تركُوا قَوْلهم الْخَبيث وَرَجَعُوا إِلي الْحق وَإِن قَالُوا لَيْسَ هَذَا بقرآن بل هُوَ شَيْء وضعوه وافتعلوه فَإِنَّهُم قوم يطعنون علي الْقُرْآن وَحِينَئِذٍ لَا يكلمون إِلَّا فِي الْقُرْآن وَلَا يكلمون فِي الْإِمَامَة لِأَن الْإِمَامَة فرع وَالْقُرْآن أصل فَمن طعن فِي الأَصْل لَا يكلم فِي الْفَرْع.

ويُقَال لَهُم أخبرونا عَن الْقُرْآن الَّذِي هُوَ الْيَوْم بَين الدفتين وَفِي صُدُور الْأمة ويتلونه فِي صلواتهم وأيامهم وأوقاتهم يحفظون حُرُوفه وحدوده ومتشابهه ومحكمه وتأويله وتنزيله وَلَا يسْقط عَلَيْهِم مِنْهُ شَيْء وَهُوَ مائَة وَأَرْبع عشرَة سُورَة مَعْلُومَة مَحْفُوظَة أهوَ الْقُرْآن الَّذِي أنزلهُ الله علي رَسُوله أم لَا فَإِن قَالُوا لَا بل ذَلِك الْقُرْآن صعد بِهِ إِلي السَّمَاء وَنسخ من قُلُوبهم حِين ارْتَدُّوا يُقَال لَهُم فَإِذا

(١) التشيع والشيعة، ص ٦٦، أصول الشيعة (٢/ ٩١٦).

(٢) سورة المائدة، الآية (٣) .

كَانَ الْقُرْآن مَعَ نقل الْأمة طبقَة عَن طبقَة وَجَمَاعَة عَن جمَاعَة لَا يَصح نَقله فَمن أَيْن لكم هَذِه الْأَخْبَار الَّتِي تدعونها حجَّة لكم فِي إِثْبَات الْإِمَامَة وَمن أَيْن علمْتُم أَن النَّبِي عَلَيْهِ ﷺ نَص علي إِمَامَة ...وَإِن قَالُوا نقلكم صَحِيح بَطل قَوْلهم فِي الْقُرْآن بالطعن عَلَيْهِ بِأَنَّهُ نسخ وَغير وَبدل وَالْقُرْآن معجز قد تحدى بِهِ الْعَرَب ثَلَاثًا وَعشْرين سنة .. وَيُقَال لَهُم قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ "إِنَّا نَحن نزلنَا الذّكر وَإِنَّا لَهُ لحافظون" هَل صدق الله فِي قَوْله أم لَا فَإِن قَالُوا لَا كذبُوا الله وَكَفرُوا بتكذيبهم رَبهم وَإِن قَالُوا صدق الله هُوَ أنزلهُ وَهُوَ حفظه علينا تركُوا قَوْلهم وَإِن قَالُوا حفظه النَّبِي ﷺ فَأَما بعد النَّبِي فقد نسخه وعرج بِهِ فقد ادعوا شَيْئا بِلَا حجَّة " (١) .

(١) انظر التنبيه والرد علي أهل الأهواء والبدع: محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين المَلَطي العسقلاني (المتوفى: ٣٧٧هـ) المحقق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري ط: المكتبة الأزهرية للتراث – مصر ج١ ص٢٥وما بعدها

مبحث ختامي

هناك عدة مطالب في ختام هذا البحث.

المطلب الأول

نظرية الأطر النفسية تحل الإشكالية

يجمع الإنسان معتقده عن طريق حواسه خاصة السمع، وقد يكون هذا المعتقد خاطئا فيمثل له مع الزمن إطارا نفسيا لا يستطيع أن يخرج منه وينقلب مع الزمن إلي عقيدة يصدقها ويرفض أي حق ويجد المبررات لنفسه نظرا لثقته في الملقى ويتمسك بهذا المعتقد دون أن يفكر فيه ونسبة كبيرة يدخلون النار لأنهم اتبعوا آبائهم دون فكر أو دراسة ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[1] وقد رأينا في التاريخ من يدعى الألوهية ويجد من الناس من يصدقه به، ولم يعذرهم الله عَزَّ وَجَلَّ لأنهم لم يستخدموا نعمة العقل فقال عن آل فرعون ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾[2] وصدق الله تعالي: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾[3] وأرجع القرآن اتباع الناس للباطل وتركهم للحق مع وضوحه بعد عدم التفكير لأسباب هي.

الظلم والعلو قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾[4]

---

(١) سورة الأعراف، الآية (١٧٩) .

(٢) سورة غافر، الآية (٤٦) .

(٣) سورة الملك، الآية (١٠) .

(٤) سورة النمل، الآية (١٤) .

والثاني: الحسد قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩) ﴾ (١) .

الثالث: إتباع الهوى. قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣) ﴾ (٢) .

وقد قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ » (٣).

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٠٩) .

(٢) سورة الجاثية، الآية (٢٣) .

(٣) رواه أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني في السنة تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني ط: المكتب الإسلامي – بيروت ج١ ص١٢ قال عنه النووي في الأربعين النووية صَحِيحٌ، رَوَيْنَاهُ فِي كِتَابِ " الْحُجَّةِ " بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ وقال شعيب الأرناؤوط يُرِيدُ بِصَاحِبِ كِتَابِ الْحُجَّةِ الشَّيْخَ أَبَا الْفَتْحِ نَصْرَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْمَقْدِسِيَّ الشَّافِعِيَّ الْفَقِيهَ الزَّاهِدَ نَزِيلَ دِمَشْقٍ، وَكِتَابُهُ هَذَا هُوَ كِتَابُ " الْحُجَّةُ عَلي تَارِكِ الْمَحَجَّةِ " يَتَضَمَّنُ ذِكْرَ أُصُولِ الدِّينِ عَلي قَوَاعِدِ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ وقال ابن حجر في الفتح" أَخْرَجَهُ الْحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ وَغَيْرُهُ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ وَقَدْ صَحَّحَهُ النَّوَوِيُّ فِي آخِرِ الْأَرْبَعِينَ وقال الألبانى رجاله ثقات غير نعيم بن حماد ضعيف لكثرة خطئه وقد اتهمه بعضهم وقال شعيب الأرناؤوط تليقا علي الحديث في جامع العلوم والحكم: قُلْتُ: تَصْحِيحُ هَذَا الْحَدِيثِ بَعِيدٌ جِدًّا مِنْ وُجُوهٍ، مِنْهَا: أَنَّهُ حَدِيثٌ يَتَفَرَّدُ بِهِ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ الْمَرْوَزِيُّ، وَنُعَيْمٌ هَذَا وَإِنْ كَانَ وَثَّقَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ، وَخَرَّجَ لَهُ الْبُخَارِيُّ، فَإِنَّ أَئِمَّةَ الْحَدِيثِ كَانُوا يُحْسِنُونَ بِهِ الظَّنَّ، لِصَلَابَتِهِ فِي السُّنَّةِ،...الخ انظر: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)تحقيق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجسط: مؤسسة الرسالة – بيروت ج٢ ص٢٩٣ قلت وبالرجوع إلي صحيح البخارى وجدت أن البخارى روى لنعيم بن حماد حديثين متابعا ولم يفرده بالرواية حديثا موقوفا قال حَدَّثَنَا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ حُصَيْنٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، قَالَ: «رَأَيْتُ فِي الجَاهِلِيَّةِ قِرْدَةً اجْتَمَعَ عَلَيْهَا قِرَدَةٌ، قَدْ زَنَتْ، فَرَجَمُوهَا، فَرَجَمْتُهَا مَعَهُمْ» وحديثا موصولا حَدَّثَنَا مَحْمُودٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ بَعَثَ النَّبِيُّ صَلي اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدًاح وحَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللهِ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ،

الرابع: الجهل والفسق. قال تعالي: ﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا فَٰسِقِينَ ٥٤ ﴾[1] .

الخامس: عدم استطاعة الانفكاك من الماضي خاصة لمن عاش فيه ردحًا طويلاً: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣ ﴾[2].

السادس: عدم استخدام العقل، قال تعالي: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠ ﴾[3] ففرق بين العقل والذكاء فعوذ بالله من الطمس.

لذا يحتاج الإنسان في بعض الأحيان أن ينير الله بصيرته يقول الإمام الغزالي رحمه الله عن تجربته في الشك "فأعضل الداء، ودام قريبـًا من شهرين، أنا فيهما علي مذهب السفسطة بحكم الحال، لا بحكم النطق والمقال. حتى شفي الله تعالي من ذلك المرض، وعادت النفس إلي الصحة والاعتدال، ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقًا بها علي أمن ويقين، ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام، بل بنور قذفه الله تعالي في الصدر وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف، فمن ظن أن الكشف موقوف علي الأدلة المحررة فقد ضيق رحمة الله تعالي الواسعة"[4] .

قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ صلي اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ إلي بَنِي جَذِيمَةَ، فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا أَسْلَمْنَا، فَقَالُوا: صَبَأْنَا صَبَأْنَا، فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ وَيَأْسِرُ...الحديث صحيح البخاري باب:إذا قضى الحاكم بجور ج٩ ص٧٣ .

(١) سورة الزخرف، الآية (٥٤) .

(٢) سورة الزخرف، الآية (٢٣) .

(٣) سورة الملك، الآية (١٠) .

(٤) المنقذ من الضلال، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، ط: دار الكتب الحديثة، مصر ج١ ص١١٥.

المطلب الثاني

الإمـام الاعتبـــاري

صحيح أن الإسلام أتى بشكل الإمامة وهي أن تكون دولة واحدة بإمام واحد، لكن هل أوجب الإسلام هذا الشكل، أم أنه جوز أن يكون هناك شكل آخر هو عبارة عن دويلات لكل واحد منها إمام، ويقوم مقام الإمام العام بعمل اتحاد بينهم بحيث يتولى رئاسة الاتحاد دولة من الدول بصورة دورية علي غرار الاتحاد الأوربي حال تعذر وجود خليفة عام للمسلمين في العصر الحاضر فتصير الدولة الرئيسة كأنها إمام اعتباري .

فالإسلام من ميزاته أنه أوسع من فكر المسلمين، ويسع كل أفكار الدنيا "فقد أتاحت الشريعة القرآنية للنفس الإنسانية أن تطمئن إلي سعادة مزدوجة، تجمع أيضًا بين النقيضين: خضوع في الحرية، ويسر في المجاهدة، ومبادأة في الاستمرار، وقليل من فهم تلك الحكمة الرفيعة. ومن ثَمَّ أخذ بعضهم علي الإسلام أنه لم يحدد مثلًا الطريقة التي يستشار بها الشعب في القضايا العامة، ولم يحدد شكل الدولة المسلمة، وطريقة اختيار رئيسها: أهي اقتراع شامل، أم مقتصر علي الصفوة؟ وهل هي جمهورية، أم ملكية؟ (١) .

يقول د/ محمد عمارة علي قناة التحرير: "الشكل الأمثل اليوم للخلافة الإسلامية هو التكتل القطري مثل الاتحاد الأوربي فلكل زمان نظامه فأي نظام أو شكل يحقق إرادة الأمة لا يمنعه الإسلام فلم يأتي بشكل محدد للدولة والنظام الذي يفرض علينا نظامًا معينًا لا يحقق إرادة الأمة لا يقره الإسلام بمعنى تحجيم الأمة وتعظيم الدولة " .

والعلماء علي خلاف في مسألة تعدد الأئمة فمنعه قوم وقالوا "وَإِذَا عُقِدَتِ الْإِمَامَةُ لِإِمَامَيْنِ فِي بَلَدَيْنِ لَمْ تَنْعَقِدْ إمَامَتُهُمَا؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلْأُمَّةِ إمَامَانِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَإِنْ شَذَّ قَوْمٌ

---

(١) دستور الأخلاق في القرآن، محمد بن عبد الله دراز (المتوفى: ١٣٧٧ هـ)، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: العاشرة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ج١ ص١١ .

فَجَوَّزُوهُ" (١) .

وأجازه قوم عند اتساع الرقعة يقول إمام الحرمين "وَالَّذِي تَبَايَنَتْ فِيهِ الْمَذَاهِبُ أَنَّ الْحَالَةَ إِذَا كَانَتْ بِحَيْثُ لَا يَنْبَسِطُ رَأْيُ إِمَامٍ وَاحِدٍ عَلي الْمَمَالِكِ، وَذَلِكَ يُتَصَوَّرُ بِأَسْبَابٍ لَا تَغْمُضُ: مِنْهَا: اتِّسَاعُ الْخِطَّةِ، وَانْسِحَابُ الْإِسْلَامِ عَلي أَقْطَارٍ مُتبَايِنَةٍ، وَجَزَائِرَ فِي لُجَجٍ مُتَقَاذِفَةٍ، وَقَدْ يَقَعُ قِيَامُ قَوْمٍ مِنَ النَّاسِ نُبْذَةً مِنَ الدُّنْيَا لَا يَنْتَهِي إِلَيْهِمْ نَظَرُ الْإِمَامِ، وَقَدْ يَتَوَلَّجُ خِطَّةٌ مِنْ دِيَارِ الْكُفْرِ بَيْنَ خِطَّةِ الْإِسْلَامِ، وَيَنْقَطِعُ بِسَبَبِ ذَلِكَ نَظَرُ الْإِمَامِ عَنِ الَّذِينَ وَرَاءَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِذَا اتَّفَقَ مَا ذَكَرْنَاهُ، فَقَدْ صَارَ صَائِرُونَ عِنْدَ ذَلِكَ إِلي تَجْوِيزِ نَصْبِ إِمَامٍ فِي الْقُطْرِ الَّذِي لَا يَبْلُغُهُ أَثَرُ نَظَرِ الْإِمَامِ، وَيُعْزَى هَذَا الْمَذْهَبُ إِلي شَيْخِنَا أَبِي الْحَسَنِ، وَالْأُسْتَاذِ أَبِي إِسْحَقَ الْإِسْفِرَايِينِيِّ ﵁ وَغَيْرِهِمَا" (٢) .

وأرى أن الأحاديث التي وردت في النهي عن ذلك إنما هي وجود إمامين في قطر واحد "عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ، فَاقْتُلُوا الْآخَرَ مِنْهُمَا ﴾ (٣) بدليل المنازعة في قول النبي ﷺ "فيما رواه عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ﴿ مَنْ بَايَعَ إِمَامًا، فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ، فَاضْرِبُوا رَقَبَةَ الْآخَرِ ﴾ (٤)

أما إذا اتفق الناس علي شكل معين للإمامة مثل الاتحاد الأوربي أو التكتل الخليجي فالإسلام فيما أرى لا يمنع هذا .

(١) الأحكام السلطانية، للماوردي، ج١ ص٢٩، مرجع سابق .

(٢) غياث الأمم في التياث الظلم، للإمام/ الجويني، مكتبة إمام الحرمين، ج١ ص١٧٥ .

(٣) رواه مسلم، باب: إذا بويع لخليفتين، ج ٣ ص١٤٨٠، مرجع سابق .

(٤) رواه أبو داود، باب: ذكر الفتن ودلائلها، ج ٤ ص٩٦، مرجع سابق .

المطلب الثالث

دعــوة للتقريـب

هناك رؤية قد تقرب وجهات النظر بين السنة والشيعة وهي هب جدلا أن النبي نص على علي رضي الله عنه فإنه قد تولي الخلافة برضا المسلمين وهو أول إمام للشيعة، كما أن النبي صلي الله عليه وسلم ذكر المهدي وهو من آل رسول الله كما مر لكنه ليس مهدي الشيعة المختلفون فيه، وباقي الأئمة عند الشيعة غير متفقين عليهم، وهذا يعنى أن هذا الكلام يحتاج منهم إلي تفكير، فلماذا لا يقترب الشيعة من هذا الفكر، ويقتربوا من أهل السنة، ولا داعي لتضخيم المسائل، وتفسيق النـاس خاصة وقد مـر أن النصوص ليست معهم.

والحمــد لله رب العالمــين؛؛

النتائــج والتوصيــات

أولاً : النتائج:

- ما يستدل به الشيعة علي إمامة علي رضي الله عنه مما صح من السنة أدلة في مناقب علي وهو رضي الله عنه لم يستقل بتلك الفضائل وإما هي موزعة علي الصحابة وفاز منها بالقدر الأكبر الشيخين .
- علماء الشيعة يعرفون الحقيقة لكنهم ينكرونها .
- يحمل عوام الشيعة الوزر لعدم تفكيرهم، وانقيادهم وراء أئمتهم، وكونهم لم يكونوا حراسا علي أفكارهم .
- جزي الله علماء الإسلام خيرا فيما بذلوه من جهد في إسناد النصوص، فبعد هذا البحث وجدت أن الذي ضبط الحقيقة هو الإسناد، ولولا الإسناد لكان الإنسان حائرا بين أقوال السنة وأقوال الشيعة .

ثانياً : التوصيات:

- ينبغي التفكير في أي فكرة تثار وضبطها بالكتاب والسنة خاصة في الأمور العقدية لأن النتائج المترتبة علي عدم التفكير خطيرة .
- لابد أن يسبق الدليل الفكرة، والفكرة تحكم بالدليل، وليس العكس .

المصــــادر والمراجــــع

١. الإبانة الكبرى، لابن بطة أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (المتوفى: ٣٨٧هـ)، تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، ط: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض .

٢. الأحكام السلطانية، لعلي بن محمد الماوردي، ط: دار الحديث .

٣. أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية – عرض ونقد -: ناصر بن عبد الله بن علي القفاري ط: بدون .

٤. أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة سعود بن عبد العزيز الخلف ١٤٢٠هـ-١٤٢١ه .

٥. الاعْتِصَام للشاطبي، ط: دار ابن الجوزي، للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.

٦. الاعتقاد والهداية إلي سبيل الرشاد علي مذهب السلف وأصحاب الحديث: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى ، أبو بكر البيهقي (المتوفي: ٤٥٨هـ) تحقيق: أحمد عصام الكاتب ط: دار الآفاق الجديدة – بيروت الطبعة: الأولي .

٧. الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي، ط: دار الكتب العلمية .

٨. الإمامة، عبد النبي سعد الدين، ط: مكتبة الروضة الحيدرية .

٩. بحار الأنوار: الشيخ محمد باقر المجلسيى مؤسسة الوفاء – بيروت – لبنان .

١٠. البحر الرائق شرح كنز الدقائق: زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (المتوفي: ٩٧٠هـ)، ط: دار الكتاب الإسلامي الطبعة: الثانية – بدون تاريخ .

١١. البداية والنهاية لابن كثيرة ط:دار إحياء التراث العربي .

١٢. تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين ط: دار الهداية .

١٣. تاريخ ابن خلدون، ط: دار الفكر، بيروت .

١٤. تاريخ الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، ط: دار التراث – بيروت لطبعة: الثانية - ١٣٨٧هـ .

١٥. التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن .

١٦. تاريخ دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر ط: دار الفكر.

١٧. تأويل مختلف الحديث: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ط: المكتب الإسلامي - مؤسسة الإشراق .

١٨. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، ط: دار طيبة للنشر .

١٩. تفسير مجمع البيان: أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي من موقع: المجمع العالمي لأهل البيت .

٢٠. التنبيه والرد علي أهل الأهواء والبدع: محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين المَلَطي العسقلاني (المتوفي: ٣٧٧هـ) المحقق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري ط: المكتبة الأزهرية للتراث – مصر .

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

٢١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، ط: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان .

٢٢. الحكومة الإسلامية، للخميني .

٢٣. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، ط: السعادة - مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

٢٤. الخلافة: محمد رشيد بن علي رضا ط: الزهراء للإعلام العربي - القاهرة .

٢٥. دستور الأخلاق في القرآن: محمد بن عبد الله دراز (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، ط: مؤسسة الرسالة .

٢٦. دلائل الإمامة أبي جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري الصغير (الشيعي)، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة سلسلة الكتب العقائدية (١٨٤)، إعداد: مركز الأبحاث العقائدية.

٢٧. رسائل الجاحظ، رسالة استحقاق الإمامة: تحقيق: عبد السلام هارون .

٢٨. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني ط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة: الأولي، (لمكتبة المعارف) .

٢٩. سنن أبو داود، دار الرسالة العالمية .

٣٠. سنن البيهقي في الكبرى، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات .

٣١. سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى

(المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي – بيروت سنة النشر: ١٩٩٨.

٣٢. سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

٣٣. شرح أصول الكافي، مولي محمد صالح المازندراني .

٣٤. شرح صحيح البخاري، لابن بطال: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ط: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .

٣٥. شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ .

٣٦. شرح صحيح مسلم تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٣٧. شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد، أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله، تحقيق حسن تميم، ١٩٦٣م، نشر مكتبة الحياة- بيروت،.

٣٨. الشيعة في الميزان : محمد جواد مغنية .

٣٩. الشيعة والتشيع - فرق وتاريخ: إحسان إلهي ظهير الباكستاني (المتوفى: ١٤٠٧هـ)، ط: إدارة ترجمان السنة، لاهور – باكستان الطبعة: العاشرة، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م .

٤٠. صب العذاب علي من سب الأصحاب: أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي، دراسة وتحقيق: عبد الله البخاري ط: أضواء السلف، الرياض،

الطبعة: الأولي، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

٤١. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) .

٤٢. صحيح مسلم بشرح النووي، ، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٤٣. الصواعق المحرقة علي أهل الرفض والضلال والزندقة: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفي: ٩٧٤هـ)المحقق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي ـ كامل محمد الخراط: مؤسسة الرسالة – لبنان الطبعة: الأولي، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

٤٤. الصواعق المحرقة علي أهل الرفض والضلال والزندقة: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى:٩٧٤هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي - كامل محمد الخراط، ط: مؤسسة الرسالة – لبنان، الطبعة: الأولي، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .

٤٥. الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ط: دار الكتب العلمية – بيروت .

٤٦. العناية التامة في تحقيق مسألة الإمامة :عز الدين بن الحسن، ط: بدون، ،والتحميل من مكتبة أنا زيدي من الشبكة الدولية.

٤٧. العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي قدم له وعلق عليه: محب الدين الخطيب رحمه الله ط: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية الطبعة:

الأولي، ١٤١٩هـ .

٤٨. العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) .

٤٩. غاية المرام في علم الكلام: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ)، المحقق: حسن محمود عبد اللطيف، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة .

٥٠. غياث الأمم في التياث: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ) المحقق: عبد العظيم الديب ط: مكتبة إمام الحرمين الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ .

٥١. الفاضح لمذهب الشيعة الإمامية: حامد مسوحلي الإدريسي ط: مكتبة الرضوان، مصر .

٥٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ط: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ .

٥٣. فرق معاصرة تنتسب إلي الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، د/ غالب بن علي عواجي، ط: المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة الطبعة: الرابعة، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .

٥٤. الفصل في الملل والأهواء والنحل. ابن حزم الأندلسي، ط: مكتبة الخانجي – القاهرة .

٥٥. فضائح الباطنية، أبو حامد الغزالي، ط: دار الكتب العلمية .

٥٦. الكافي الكليني باب، مولد أبى محمد الحسن بن علي .

٥٧. الكامل في ضعفاء الرجال: أبو أحمد بن عدي الجرجاني (المتوفى: ٣٦٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود ـ علي محمد معوض ط: الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة:

الأولي، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م .

٥٨. لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، ط: دار صادر– بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ .

٥٩. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، ط: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، الطبعة: الثانية - ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢م .

٦٠. مجموع الفتاوى، ابن تيمية الحراني، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية .

٦١. مختصر التحفة الاثني عشرية ألّف أصله باللغة الفارسية: علامة الهند شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي، اختصره وهذبه: (سنة ١٣٠١ هـ)، علامة العراق محمود شكري الألوسي، حققه وعلق حواشيه: محب الدين الخطيب ط: المطبعة السلفية، القاهرة، عام النشر: ١٣٧٣هـ .

٦٢. مسند أحمد في مسنده، باب: حديث أبي برزة الأسلمي، ط: مؤسسة الرسالة.

٦٣. مسند أحمد: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط ـ عادل مرشد، وآخرون ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولي، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١م .

٦٤. المصباح المنير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي، ط: المكتبة العلمية–بيروت .

٦٥. مصطلحات في كتب العقائد: محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، ط: درا بن خزيمة .

٦٦. مع الاثني عشرية في الأصول والفروع: د/ علي بن أحمد علي السالوس، ط: دار الفضيلة بالرياض، دار الثقافة بقطر، مكتبة دار القرآن بمصر، الطبعة: السابعة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

٦٧. مع الإمامية في الإمامة والعصمة: عبد الله بن الحسين بن محمد الكبسي الملقب بالديلمي .

٦٨. مع الشيعة الإمامية في عقائدهم جعفر السجاني، نقلاً عن: مع الإمامية في الإمامة والعصمة، عبد الله بن الحسين بن محمد الكبسي، الملقب بالديلمي .

٦٩. معجم رجال الحديث للسيد الخوئى: ترجمة: عبد الله بن سبأ رقم ٦٨٨٩ مكتبة الإمام الخوئى علي الشبكة الدولية .

٧٠. المقالات والفرق القمي، أبو خلف سعد بن عبد الله الاشعري، تحقيق محمد جواد مشكور، ١٩٦٣م، طهران .

٧١. الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، ط: مؤسسة الحلبي .

٧٢. من فقه الدولة في الإسلام، د/ يوسف القرضاوي، ط: دار الشروق .

٧٣. مناظرة علي قناة صفا، مع الشيخ عدنان العرعور وهي موجودة علي اليوتيوب .

٧٤. المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) تحقيق: محب الدين الخطيب .

٧٥. المنقذ من الضلال: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، ط: دار الكتب الحديثة، مصر .

٧٦. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد

الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد رشاد سالم، ط: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الطبعة: الأولي، ١٤٠٦هـ .

٧٧. الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، محماس بن عبد الله بن محمد الجلعود، ط: دار اليقين للنشر والتوزيع .

٧٨. موطأ مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، المحقق: محمد مصطفي الأعظمي، ط: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي – الإمارات، الطبعة: الأولي، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .

٧٩. ميزان الاعتدال في نقد الرجال المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولي، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م .

٨٠. النظام السياسي في الإسلام، د/ نعمان عبد الرزاق السامرئى، ط: بدون ١٤٢١هـ.

٨١. النكت الاعتقادية، الشيخ المفيد .

الفهرس

تم بحمد الله